من درر شيخ الإسلام ابن تيمية
«١»

تزكيــة النفــس

تأليف
شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني
رحمه الله
(٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ)

النص الكامل لهذه الرسالة ينشر لأول مرة

دراسة وتحقيق

د / محمد بن سعيد بن سالم القحطاني
قسم العقيدة ـ جامعة أم القرى

© دار المسلم للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

ابن تيمية ، أحمد عبدالحليم
تزكية النفوس/ تحقيق محمد بن سعيد القحطاني .
... ص ؛ .. سم
ردمك ٧-٣٦-٧٤٨-٩٩٦٠
١- علم النفس الإسلامي ٢- الإسلام والمجتمع
أ- العنوان ب- القحطاني، محمد بن سعيد (محقق)

ديوي ٢١٥.٢ ١٤/١٨٧٤

رقم الإيداع : ١٤/١٨٧٤
ردمك : ٧-٣٦-٧٤٨-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار المسلم للنشر والتوزيع

الرياض ١١٤٨٤ - ص.ب ١٧٣٥٦ - هاتف : ٤٠٥٤٠٥٩/٤٩٣١١٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن دين الله تبارك وتعالى قد اعتنى بالنفس البشرية عناية فائقة ، ورسمت لها الشريعة الغراء طريق السعادة والنجاة ، وحذرتها من مفازة الغواية والهلاك .

وتبرز تزكية هذا الدين للنفس البشرية من أول ركن من أركانه وهي شهادة التوحيد التي تخلص النفس من الآلهة والأرباب والمعبودات الباطلة ، وتعرفها بالإله الحق والرب المطاع .

وتزكية النفس مطلب ومقصد من مقاصد الشارع ، فالدين كله يدور حول تزكية النفس لتعبد ربها بحق وصدق ، وتبتعد عن مساخطه ومناهيه

بإرادة وعزم .

وما أحوج أمتنـا اليوم إلى تزكيـة النـفوس على منهاج النبوة .

ـ الأمة التي يراد اليوم تغييبها عن دينها الحق .

ـ الأمة التي غزيت بأفكار الكفار وعقائد المشركين.

ـ الأمة التي تخلقت بأخلاق المغضوب عليهم والضالين .

ـ والأمة الـتي ضربت عليـها الذلة والتـمزق لأنهـا أخذت بأذناب البـقر فحل فيها الوهن وكراهة الموت .

ـ الأمة التي خـارت قواها عن مـفهوم « الله أكـبر » فأصـبحت ترى أن قوى الغرب الكافر هي الأكبر .

ـ الأمة التي نست أو نُسـيت مجدها وتاريخها وبطـولاتها ونماذج العزة والكرامة في تاريخها المجيد .

تستبـدل سيرة محمـد بن عبد الله ﷺ وأبي بكر وعمـر وعثـمان وعلي وخالد وسـعد والقـعقـاع والمثنى وسعـيد بن جبيـر وابن سيـرين والسفـيانين وأحمد والبخاري ومسلم وابن تيميـة وابن القيم وابن كثير والذهبي ومحمد بن عبـد الوهــاب بسيـرة (مايكل ونجـاة وهلاك وفريد وعـادل إمام ورقـصة الراب) ... إلخ قائمـة السفلة والتـافهين ما أحـوج هذه الأمة اليـوم إلى إعادة النظر في تربيـتها وتـزكيتـها وإخـراج أوشاب التربيـة الضالة والمناهـج الضالة حتى تصلح القلوب لتكون مقراً لوحي علام الغيوب .

وتاريخنا مشرق بالنماذج الإيمانية الصادقة التي زكت نفوسها وزكّت غيرها بما تعلمته من علم الشريعة الغراء .

ومن هؤلاء الأعلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . وقد يسر الله تعالى لي رحلة علمية لمكتبة السليمانية باستانبول للاطلاع على مخطوطاتها ونفائسها فكان من خيرة ما رأيته في تلك المكتبة رسائل (مجموعة عاشر أفندي) التي تحمل رقم ١١٥٤ حيث حوت هذه المجموعة عدة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأجزل مثوبته .

ويسر الله تصوير مجموعة طيبة منها . ولما عدت إلى أم القرى مهبط الوحي والرسالة قمت بمقابلة هذه الرسائل المخطوطة على المطبوع من كتب ذلك الإمام الهمام . وكانت هذه الرسالة « تزكية النفس » من ضمن تلك الرسائل . وبالمقابلة مع مطبوعتها في الفتاوى جـ ١٠ / ٦٢٥ ـ ٦٤٠ وجدت أن المطبوعة مخرومة خرماً كبيراً يخل بالمعنى حيث زادت المخطوطة على المطبوع بأكثر من ١٥٠ سطراً . أي ما يقارب سبع صفحات من القطع الكبير ، فعزمت على تحقيق هذه الرسالة لتخرج كاملة لأول مرة وتسد ثغرة في مسيرتنا العلمية والدعوية اليوم .

وقد قدمت لـلرسالة بدراسة عن تزكيـة النفس آمل أن تكون إن شاء الله دراسة موفقة مسددة حول هذه المسألة العقدية التربوية الهامة وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فقير عفو ربه ورحمته

محمد بن سعيد القحطاني

١٠ رمضان ١٤١٤ هـ

مكة المكرمة حرسها الله من

كل سوء ومكروه

شيخ الإسلام ابن تيمية

إن العَلَمَ لا يُعرَّف ، والشمس لا يبرهن على وجودها وصدق القائل :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتـاج النهـار إلى دليـل

الإمام القـدوة : شيخ الإسلام ، مـفتى الأنام ، بطل الإصلاح أبو العباس أحمـد بن عبـد الحليـم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨ هـ) كتبت في سيرته العطرة المجلدات ، لذا لا أظن أنني بحـاجة ــ أنا والقارئ ــ إلى إبراز ترجـمة تفصيليـة لهذا الإمام العلم ، فقد شرّق ذكـره في الآفاق وغرّب . ولكن أرى أن أُلمح إلى نقاط هامة في ترجمته ،مثل أهم كتبه ، وأبرز تلاميذه ، وأشرس خصومه . وفي هذا قدر كافٍ لمن أراد الوقوف على عظم قدر هذا الإمام .

ولقد قـام باحث فاضل هو الشـيخ محـمد بن إبراهيم الشـيبـاني بدراسة قيـمة بعنوان « أوراق مـجمـوعة من حـيـاة شيخ الإسـلام ابن تيمـية » وهو جـهد يذكـر فيشكر في حـصر مـا وصـل إليه علـمه ممن ترجم لشـيخ الإسـلام في القـديم وفي الحديث من ص ١٨٨ ــ ٢١١ .

ولقد وفق ــ جـزاه الله خيراً ــ في ذلك توفيـقاً كبيـراً . لذا أجد أن من التكرار الممـل ذكـر ذلك وسـرده . بل الإحـالة لمن سـبق أجـدر بالذكـر من التكرار الممل ومن أحيل على ملئ فليحتل .

ولد شيخ الإسلام رحـمه الله سنة ٦٦١ هـ وتربى في أسـرة علمية موفقة فهو عـالم ابن عالم ابن عالم . والده الشيخ عـبد الحليم بن عبد السلام الفـقيه

الحنبلي وجده عبد السلام بن عبد الله مجد الدين أبو البركات صاحب كتاب المنتقى .

تتلمذ ابن تيمية على والده وعلى ابن عبد الدائم المقدسي وجمع غفير من أهل العلم مذكورون في كتب ترجمته وسيرته .

أبرز مؤلفات ابن تيمية

١ ـ مجموع الفتاوى ويقع في ٣٧ مجلداً .

٢ ـ درء تعارض العقل والنقل ويقع في ١١ مجلداً .

٣ ـ منهاج السنة النبوية ويقع في تسع مجلدات .

٤ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٥ ـ الاستقامة .

٦ ـ النبوات .

٧ ـ بيان تلبيس الجهمية .

٨ ـ الفتاوى المصرية .

٩ ـ الصفدية .

١٠ ـ الرد على المنطقيين .

١١ ـ بغية المرتاد .

١٢ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول .

١٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم .

١٤ ـ شرح العمدة .

١٥ ـ الإيمان .

ورحم الله تلميذه ابن عبد الهادي حيث قال (وما أُبعد أنّ تصانيفه إلى

الأمة تبلغ خمس مئة مجلدة) [١]

أما أشهر رسائله التي سارت بها الركبان فمنها :

١ ـ التدمرية . ٢ ـ الواسطية .

٣ ـ الحموية . ٤ ـ السبعينية .

٥ ـ المراكشية . ٦ ـ التوسل والوسيلة .

٧ ـ البعلبكية . ٨ ـ الفرقان .

٩ ـ الأصبهانية . ١٠ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

١١ ـ الحسبة . ١٢ ـ السياسة الشرعية .

١٣ ـ حديث النزول . ١٤ ـ الرسالة المدنية .

١٥ ـ الجواب الباهر . ١٦ ـ الرد على الأخنائي .

أبرز تلاميذ الشيخ

لقد خلّف الإمام ابن تيمية مدرسة فكرية عقدية بارزة آثارها إلى هذا اليوم ، وممن حمل علمه وتلقى على يديه :

١ ـ الحافظ الذهبي . ٢ ـ الحافظ ابن عبد الهادي .

٣ ـ العلامة ابن القيم . ٤ ـ الحافظ ابن كثير .

٥ ـ الحافظ البرزالي . ٦ ـ الحافظ المزي .

٧ ـ العلامة ابن مفلح . ٨ ـ العلامة ابن الوردي .

---

(١) العقود الدرية ص ٢٥ .

٩ ـ العلامة عماد الدين الواسطي

١٠ ـ شرف الدين بن المنجا .

وغيرهم من المئات الذين تربوا على علمه وفضله .

أبرز خصوم الشيخ

١ ـ الجاشنكير « بيبرس البرجي » .

٢ ـ ابن جهبل الشافعي الدمشقي .

٣ ـ صفي الدين الهندي .

٤ ـ القاضي كمال الدين بن الزملكاني .

٥ ـ تقي الدين السبكي .

٦ ـ تقي الدين الأخنائي .

٧ ـ أبو العباس السروجي .

٨ ـ صدر الدين بن المرحل .

٩ ـ الشيخ نصر المنبجي .

١٠ ـ القاضي ابن مخلوف المالكي .

١١ ـ نور الدين البكري .

١٢ ـ ابن عطاء الله السكندري .

١٣ ـ العلاء البخاري .

١٤ ـ يوسف النبهاني .

١٥ ـ زاهد الكوثري .

برز شيخ الإسـلام رحمه الله في ميـدان تخلى فيه كثـير من أهل العلم ، ذلك هو ميدان الصدع بالحق ، ومقارعة البـاطل والصبر والاحتساب على ما يلاقي في ذلك . ولم يعش رحـمه الله كمـا عاش أصحـاب العقل المعـيشي ، الذين يبـررون جبنهم وخورهم في عـدم الصدع بالحق بأن ذلك هـو الحكمة ومعاشرة الناس بالمعروف وخشية الوقوع في الفتنة !!

ولقد كـان جهـاده الدعوي غـصة في حلوق أصـحاب العلم المعـيشي ، ومنهم ابن مخلوف الذي اشتـهر باستعداء السلطان على شـيخ الإسلام حتى قال للسلـطان اقـتله وإثمـك في رقبتي (١). تحمل السجن والإبعاد عن أهله ومحـبيه فـمن سجن قلعة دمـشق سنة ٧٢٦ هـ إلى سجن حـارة الديلم بمصر إلى سجن الإسكندرية.

ولهذا كان رحمه الله يقول : المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه (٢) .

ويقـول : « ما يصنع أعـدائي بي ، أنا جنتي وبسـتاني في صـدري ، أين رحت فهي معي لا تفـارقني ، أنا حبسي خلوة ، وإخراجي من بلدي سـياحة وقتلي شهادة » (٣) .ولقـد مات رحـمه الله سنة ٧٢٨ هـ وكـان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) راجع العقود الدرية .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٤٠٢ .

تزكية النفس

إن الله سبحـانه وتعـالى قد جعل هذا الدين القـويم ضيـاءً ونوراً لعبـاده لإخراجـهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجـاهلية إلى الإسـلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

قال تعالى ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخـرجهم من الظلمـات إلى النور ، والذين كـفروا أوليـاؤهم الطاغـوت يخـرجونهم من النـور إلى الظلمـات أولئك أصحـاب النار هم فيهـا خـالدون** ﴾ ٢٥٧ البقرة .

ولهـذا تطهـرت النفـوس من أوضـار الشـرك ، ودنس الجاهـليـة منذ أن شُهـد بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسـول الله .

« هبت عواصف الأقدار في بيداء الأكوان ، فتقلب الوجود ونجم الخير، فلما ركـدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك، وسلمـان على ساحل السلامـة ، والوليد بن المغيرة يقدم قـومه في التـيه ، وصهـيب قد قـدم بقافلة الروم ، والنجاشي في أرض الحبشة يقول : لبيك اللهم لبيك . وبلال ينادي : الصلاة خير من النوم ، وأبو جهـل في رقـدة المخالفة » [١] .

قال الله تعالى ﴿ **ونفس وما سواها فألهمهـا فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ ٧ ـ ١٠ الشمس .

ولا يحس بعظمة وروعـة التزكية الإيمـانية إلا من عرف الجاهليـة، ولهذا

---

(١) الفوائد لابن القيم ٥٢ ـ ٥٣ تعليق صابر يوسف ط ٣ / ١٣٩٦ هـ .

كان الجيل الأول خير من قدر هذه النعمة حق قدرها ذلك أنهم أدركوا حقا البون الشاسع بين الإيمان والكفر ، وبين العبودية لله والعبودية للطواغيت ، وبين الحرية في خلوص النفوس لربها ، وشتاتها بين أرباب مزيفة .

لذلك كانت معرفتهم بهذا الدين معرفة من أدرك أنه حقيقة مركبة (من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً ، والتصديق به عقداً والإقرار به نطقاً ، والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به ظاهراً وباطناً ، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان ، وكماله في الحب لله ، والبغض في الله ، والعطاء لله ، والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده ، والطريق إليه : تجريد متابعة رسوله ظاهراً وباطناً، وتغميض عين القلب عن الإلتفات إلى سوى الله ورسوله) (١)

وتدسية النفس وطمرها في مهاوي الضلال مرض قديم جديد في حياة الناس ، ولهذا كان من منة رب العالمين على عباده أن أمرهم بالتذكير فقال ﴿**فذكر إنما أنت مذكر**﴾ ٢١ الغاشية .

وقال ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾ ٩ سورة الأعلى .

وقال ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ ٥٥ الذاريات .

ولهذا (إذا رأيت العقل يؤثر الفاني على الباقي فاعلم أنه قد مسخ ، ومتى رأيت القلب قد ترحل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل فيه حب المخلوق ، والرضى بالحياة الدنيا والطمأنينة بها فاعلم أنه قد خسف به ، ومتى

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ .

أقـحطت العين من البكاء من خشـية الـله تعالى فـاعلم أن قحطهـا من قسـوة القلب .

وأبعـد القلوب مـن الله القلب القـاسي ... ومن ركـب ظهـر التـفـريط والتواني نزل به في دار الحسرة والندامة .. ومن أدلج في غياهب الليـل على نجـائب الصبـر صبح مـنزل السـرور ، ومن نام على فـراش الكسل أصـبح ملقى بوادي الأسف)[١] .

إن الإيمان بالله ولوازمـه وأركانه وسننه والبعـد عن نواقضـه كلها طرق تهـذب النفس البـشريـة وتنقيـهـا ، والقلب ملكهـا في ذلك فـإذا زكى ذلك القلب فالأعضاء عسكره المطيع لأمره .

يقول في هذا العـلامة ابن القـيم رحمه الله (فـالجيـوش الإسلاميـة كلها تحت لوائه ، ناظرة إليه ، إن ثبت ثبتت . وإن انهزم ولت على أدبارها)[٢] .

والآفات والموبقات المدنسة للنفس البشرية كثيرة جداً من أهمها :

الكفر والشرك ، والنفاق والشك ، والخوف من غير الله، واتباع الهوى، والكبـر والشح ، والجبن والحسد والجـزع، والغرور وحـب الرياسة ، وبحـر التـمني ، والعلـو في الأرض ، والحـمية لـلنفس والغـضب لهـا ، والإسـراف والغيـبة والنميمـة والرشوة والذل ، والعجز والتـسويف ، والتقصـير والغلو ، والعجلة والشكوى ، والطمع والهلع .

---

(١) بدائع الفوائد ٣ / ٢٢٤ .

(٢) الروح ص ٣٠٦ .

ولذا سأتحدث عن أهم الأمور التي تحصل بها تزكية النفس إجمالاً وليس تفصيلاً وهي :

١ ـ الإيمان والتوحيد .

٢ ـ المتابعة لرسول الله ﷺ .

٣ ـ الفرائض والواجبات والسنن .

وهذا هو الطريق الشرعي لتزكية النفس ، وليس كما تزعم الصوفية المنحرفة التي تهرب بالنفس عن واقع الناس ، وتتخلى عن الواجبات والسنن ، وعن الشرائع والتكاليف ، زاعمة أن الخلوات والكهوف والمفازات ، والإغراق في أذكار بدعية : هي الطريق لتصفية النفس وتزكيتها من الرذائل!! إنها قد استغنت بمواجيدها وخزعبلاتها عن الكتاب والسنة ، فقد حل الذوق والكشف والعلم اللدني وعبارة «حدثني قلبي عن ربي » مكان الانقياد والاتباع والتنفيذ لأوامر الله والبعد عما نهى عنه رسوله ﷺ .ولنعد الآن إلى التزكية الشرعية السنية وبما تتحقق :

أولا : الإيمان والتوحيد

لا ريب أن رأس الأمر كله في تزكية النفس هو الإيمان والتوحيد لله رب العالمين ، فإفراده بالعبادة والانقياد له ، والتسليم بشرعه ، وتمام الذل له مع تمام الحب : هذا كله لب الإيمان والانقياد لرب العالمين .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا

يستعين إلا بـه ، ولا يتوكل إلا عليـه ، ولا يفـرح إلا بما يحبه ويرضـاه ، ولا يكره إلا مـا يبغـضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه الله ، ولا يـعادي إلا من عاداه الله ، ولا يحب إلا للـه ، ولا يبغض شيئاً إلا لله ، ولا يعطي إلا لله ، ولا يمنع إلا لله ، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات ، وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك) [١].

ولهذا يقول المصطفى ﷺ « من شهـد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأن محمـداً عبده ورسوله ، وأن عيـسى عبد الله ورسوله، وكلمـته ألقاها إلى مريم وروح مـنه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على مـا كان من العمل » متفق عليه [٢] .

والعدو الأكبر للتـوحيد والإيمان هو الشرك الذي سماه الله ظـلماً عظيماً فقال ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ ١٣ لقمان .

ولذا ورد في الحـديث القـدسي « يا ابـن آدم لو أتيـتنـي بقـراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابهـا مغفرة » [٣] .

وإذا أردت الوقوف ـ أيها القاريء الكريم ـ على أثر التوحيد في النفس البشـرية فأرع سـمعك مـعي لهذه الكلـمة الطيـبة المباركـة التي دبجـها يراع العلامة الجـهبذ شمس الدين ابن القيم رحـمه الله حيث يقـول : (فـعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضـر والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء

---

(١) مجموع الفتاوي ١٠ / ١٩٨ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب ٤٧ ح ٣٤٣٥ وصحيح مسلم كتاب الإيمان ح ٢٨ .

(٣) الترمذي كتـاب الدعـوات ٥ / ٥٤٨ ح ٣٥٤٠ وحـسنه العـلامـة الألبـاني في صـحـيح الجامع ٤٣٣٨ .

والإمـاتة : يثمـر عبـودية التـوكل عليه باطناً ولـوازم التوكل وثمـراته ظاهراً . وعلمـه بسـمعـه تعـالى وبصـره وعلمـه وأنه لا يخـفى عليـه مثـقـال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور : يثمر له حفظ لسـانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله ، وأن يجـعل تعلق هذه الأعـضاء بما يحـبه الله ويرضـاه فيـثمـر له ذلك الحياء باطنـاً ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقـبائح . ومعرفته بغناه وجوده وكرمـه وبره وإحسـانه ورحمـته : توجب لـه سعة الرجـاء وتثمـر له كذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

وكـذلك مـعـرفـتـه بجـلال الله وعـظمـتـه وعـزه : تثـمـر له الخـضـوع والاسـتكانة والمحبـة ، وتثمـر له تلك الأحـوال البـاطنة: أنواعـاً من العـبـودية الظاهـرة هي موجباتها . وكـذلك علمـه بكماله وجمـــاله وصفاته العلى : يوجـب له محبـة خاصـــة بمنزلة أنـــواع العبودية . فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسمـــاء والصفات ، وارتبطـت بها ارتباط الخلق بها ، فخلقه سبـــحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العالم وآثارها ومقتضاها لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم ولا تشينه معصيتهم) [١] .

والنظر فـي أحـوال الأخيـــار من سلف هـذه الأمـــة يعطي صـورة صادقة لأثر التوحيد في النفس البشرية .

هذا بلال رضي الله عنه يستعذب العـــذاب في سبيل ربه ، وينادي عليه

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٩٠ وانظر الأسماء والصفات للأشقر ص ٢٢ .

الطغـاة أن اكفر ونكف عنك فكان الجـــواب : أحدٌ أحد . لأنه مزج طعم الإيمان بشدة الألم فغلبت حلاوة الإيمان ما يلاقيه من عنت .

وهل أنتِ إلا أصبع دميتِ   وفي ســبيل اللـه ما لقـيتِ

وهؤلاء آل ياسر : يتـعرضـون لأشد أنواع الأذى ، فكانوا يشعرون بلذة استعلاء الإيمان فوق كفـر الجاهلية وطغيان أبي جهل وحزبه ، ويـتأملون قول الصادق الأمين لهم « ابشروا آل عمـار فإن موعدكم الجنة »[1] فتهون عليهم الدنيا وعذابها وألمهـا . وقبلهم ذلك الغلام الذي سجل أروع بطولة حين آمن بالله فقال للطاغية : لن تقتلني حتى تجمع الناس وتقول : بسم الله رب الغلام ثم ترميني ، فلمـا مات انتصرت الدعوة ، وآمن الناس بـرب الغلام ، فكان ما كان ﴿ **وما نـقمـوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيـز الحمـيد** ﴾ ٨ البــروج . وقبله يوسف بن يعقوب عليـه السلام حيث قال ﴿**ياصاحبي السجن أأرباب متفـرقـون خيـر أم الله الواحـد القـهار ، مـا تعبـدون من دونه إلاّ أسماء سميـتـموها أنتم وآباؤكـم ما أنزل الله بهـا من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تـعبدوا إلا إيـاه، ذلك الدين القيم ولكن أكـثر الناس لا يعلـمون** ﴾ ٣٩ ـ ٤٠ يوسف . وقبله إمام الحنفـاء إبراهيم عليه السلام ﴿ **وكيف أخاف ما أشـركتم ولا تخـافون أنكم أشـركتم بالله مـا لم ينزل به عليكـم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون** ﴾ ٨١ الأنعام .

---

(١) تخريجـه : طبقات ابن سـعد ٣ / ٢٤٩ وانظر السيـرة النبوية الصحيـحة للدكتـور أكرم العمري ١ / ١٥٦ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ قطر .

ثانيا : المتابعة لرسول الله ﷺ

كـانت هذه الأمة قـبل بعـثة رسـول الله ﷺ تعيش في جـاهلية جـهلاء وضـلالة عـمـيـاء ، وأصنام وأوثان ، وأوهام وأزلام ، تعـبـد من دون الواحـد الأحد .فبعث الله محمداً ﷺ نوراً يمزق ظلام الجاهليـة ، وهادياً يقودها إلى النجاة والفلاح، ومزكياً للنفوس من أدران الجاهلية ورجس شركها . قال الله تعالى في ذلك ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ ١٥١ البقرة .

وهو دعـوة جده إبراهيم عليـهمـا السلام حـيث دعا خليل الرحـمن ربه سبحانه أن يخـرج من أبناء هذه البلدة ـ مكة المكرمة ـ من يزكي أهلها بنور الإسلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ ١٢٩ البقرة .

فكانت هذه الرسالة ورسـولها منة من الله عظيمة على هذه الأمـة . كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ ١٦٤ آل عـمـران ﴿ **هو الذي بعث في الأمـيين رسـولا منهم يتلو عليـهم آياته ويزكـيهم ويعلمهم الكتاب والحكمـة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ ٢ الجمعة .

وقد جـعل الله هذا النبي العظيم أسوة وقـدوة لنا فقـال تعالى ﴿**لقد كان**

لكم في رسـول الله أسوة حـسنة لمن كـان يرجو الله واليـوم الآخر وذكـر الله كثيراً ﴾ ٢١ الأحزاب .

بل حجب الله قبول شطر الشـهادة الأول إذا لم يشهـد المكّلف بشقـها الثاني « محمد رسول الله » .

وحين ادعى أناس محـبة رسول الله ﷺ امتـحنهم الله بهذه الآية ﴿ **قل إن كنتم تحبـون الله فاتبـعوني يحبـبكم الله** ﴾ ٣١/ آل عـمـران . ولهـذا لن تتزكى نفس بشريـة حتى يكون الرسول ﷺ هو أسوتها وقـدوتها ، وكل من التـمس التـزكيـة في غـير منهـاج النبـوة فـهو من الخـاسـرين ، وممن زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وصدهم عن السبيل .

وتزكية النفس بمتابعته ﷺ في أقوالـه ، وأعماله ، وأخـلاقه هي البـرهان الصادق على توحيد المتابعة له عليه السلام .

وحياته صلوات الله وسلامه عليه كلها دروس في تزكية النفوس .

في إيمانه وتوحيـده ، وفي الصبر وقـول الحق ، وفي الحلم والكرم ، وفي جـهـاده وصلاتـه ، وفي حجـه وزهده . وفي خلـقه ومـعـاشـرته ، وفي أدبه وسمته .

وفي صلة الأقارب والأرحام ، وفي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر. وفي كل صغـيرة وكبيرة هو القـدوة والأسوة ، وأكرم بنفس تزكـت بمتـابعته عليه الصلاة والسلام، فهي السعيدة في هذه الحياة ، وهي الناجية يوم القيامة، وهي من سكان جنة عرضها السماوات والأرض بإذن الله تعالى .

ثالثا : الفرائض والواجبات

إن فروض الإسلام وواجباته وأركانه وسننه ومستحباته: كلها مما يزكي النفس البشرية ويصقل جوهرها ، بل كل فعل أو أمر أو سنة أو واجب له أثر كبير في تزكية النفس بما لا يسع الكلام فيه إلا في صفحات كثيرة .

ولكنني أشير إشارات سريعة إلى بعض آثار الفرائض والواجبات في تزكية النفس وتخليصها من دنس المعصية والسوء.

ففي **الصلاة** مثلاً يقول الله تعالى ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**﴾ ٤٥ العنكبوت . ويقول ﷺ « ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله » [١] والمراد بالمكتوبة المفروضة كما قال ﷺ في الحديث القدسي « وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه » [٢].

وقال ﷺ في شأن تنقية وتزكية الصلاة للنفس ولصاحبها «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات

---

(١) صحيح مسلم كتاب الطهارة ح ٢٢٨ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب التواضع ١١ / ٣٤١ ح ٢ ٦٥٠ .

الخمس يمح الله بهن الخطايا »(١)

والزكاة : تخلص النفس من الشح والطمع والبخل ، وتنقي النفس وترفعها فوق حب الدرهم والدينار . قال تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ ١٠٣ التوبة .

وللزكاة دور فريد في حياة الناس ، إذ هي من أكبر عوامل نشر الأمن ، وحب المؤمنين لبعضهم بعضاً ، فهناك شعور من الغني بعبوديته لربه في هذا المال ، فكانت هذه العبادة المالية منة كبيرة من الله عليه ، يصرفها طيبة بها نفسه لمن يستحقها ، وكان قبول الفقير لها منة من الله عليه ، أن أحل له هذا المال مادام محتاجاً إليه ولا يجده .

فماذا ترى في كيفية العلاقة بين ذلك الغني المزكي وذلك الفقير المستقبل؟ إنها علاقة رحمة ومودة وحب وأخوة إيمانية، ولهذا تختفي الجريمة والسرقة أو تكاد في مجتمع تؤدى فيه فريضة الزكاة ، ويسود القتل والسطو والاختطاف والإبتزاز في المجتمعات التي لم تنعم بنعمة تأدية الزكاة ، وانظر إلى حالة العالم الغربي المعاصر وحراساته المشددة وأجهزته المتطورة التي اخترعت لحماية الغني من الفقير.وأنى لها أن تصل بأمن المجتمع إلى ما وصل به دين الله الحق .

والصيام : تزكية وتصفية للنفس البشرية . يقول ﷺ « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً

---

(١) صحيح البخاري كتاب المواقيت ، باب الصلوات الخمس كفارة ١ / ١٥٢ ح ٥٢٨ ومسلم ح ٦٦٧ .

واحتـسـاباً غـفـر لـه مـا تقـدم من ذنبــه ، ومن قــام ليـلــة القـــدر إيماناً واحتســـابا غفر له ما تقـدم من ذنبه » (١)

وقال ﷺ في شأن صيام يوم عـرفة « أحـتسب على الله أن يكفـر السنة التي قبله والتي بعده » (٢)

وفي شأن **الحج** : يقول ﷺ « من حج هذا البـيت فلم يرفث ولم يفـسق رجع كيوم ولدته أمه » (٣) وقال ﷺ « العمرة إلـى العمرة كفارة لما بيـنهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » (٤)

وليس هذا فـحسب في أثر الفـرائض ، بل إن حـسن الخلق له أكبـر الأثر في تزكية الـنفوس يقول ﷺ « إن المؤمن ليـدرك بحسن الخلق درجـة الصائم القائم » (٥) وقال « أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » (٦) والدين الإسلامي كله خلق ، وكله تزكية للنفس .

أما اجتناب المحرمات : فهو من أهم الأمور التي عنيت بها الشريعة تزكية للنفس وطهـارة لهـا من أوضـار الإثم ودنس المعـصيـة قـال الله تعـالى ﴿ **قل للمؤمنـين يغضوا من أبصارهم ويـحفظوا فروجـهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون** ﴾ ٣٠ النور .

---

(١) صـحيح البـخاري كـتـاب الصوم باب من صـام رمـضان إيماناً واحـتسـاباً ٤ / ١١٥ ح ١٩٠١ ، ٢٠٠٨ ، ٢٠١٤ ومسلم ٧٥٩ .

(٢) صحيح مسلم ح ١١٦٢ كتاب الصوم .

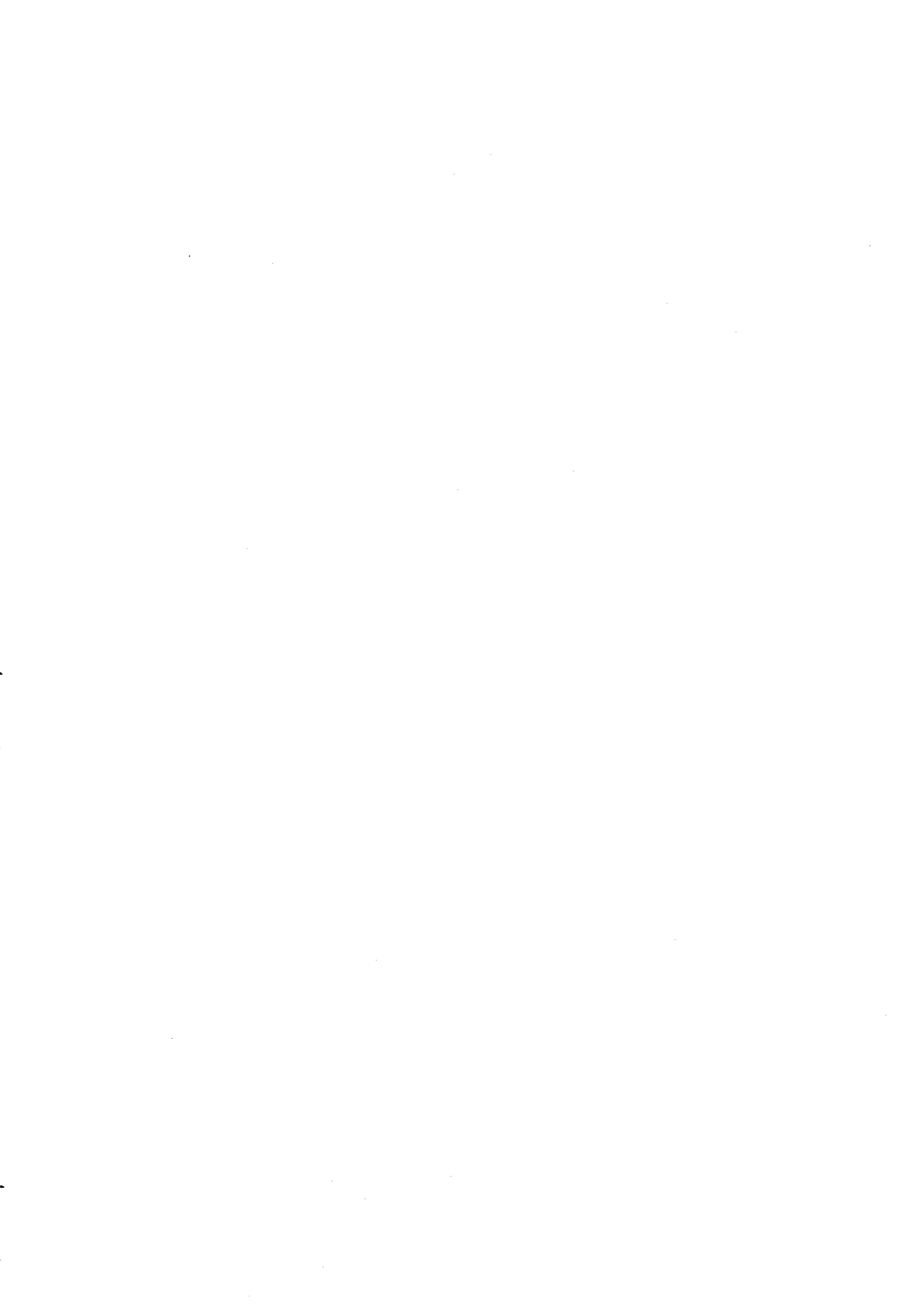
(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٦٤ ومسلم ح ١٣٥٠ كتاب الحج .

(٤) صحيح مسلم ح ١٣٤٩ كتاب الحج .

(٥) أحمد ٦ / ٩٤ وأبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب باب حسن الخلق .

(٦) أبو داود ح ٤٨٠٠ كتاب الأدب باب حسن الخلق

ثم جاء الخطاب للنسـاء في قوله تعالى ﴿ **وقل للمـؤمنات يغضضـن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ ٣١ النور . فتزكية النفس لا تحصل إلا بترك الفـواحش والمنكرات كـمـا بين هذا شـيخ الإسـلام في هذه الرسـالة التي بين يديك .



رســالة تزكـيـة النفــس

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

هذه الرسالة ـ تزكية النفس ـ على صغر حجمها تعتبر درة من درر علم شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله ، وقد تحدث فيها عن الأمور التالية : ـ

١ ـ بيّن رحمه الله في أول الرسالة أصلاً أصيلاً لهذه المسألة وهو : أن تزكية النفس تكون بترك المحرمات وفعل المأمورات ، ثم بين أن البر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر ، وأن الفجور والبخل يقمع النفس ويصغرها ويهينها .

٢ ـ بين رحمه الله أن التوحيد والإيمان أعظم ما تتزكى به النفس ، وأن الشرك أعظم ما يدنسها .

٣ ـ بيّن رحمه الله أن الكفر يمنع الإيمان وقد يرفعه بعد حصوله ، والسيئات قد تمنع الحسنات وقد ترفعها بعد الحصول ، ثم عرج على الإحباط الذي ذهب إليه الخوارج والمعتزلة ، وهو زعمهم أن السيئة الواحدة الكبيرة تحبط جميع الحسنات حتى الإيمان ، وأن من مات مصراً على الكبيرة لم يكن معه من الإيمان شيء أصلاً بل هو مخلد في النار !!!

فأما حبوط الحسنات كلها بالكفر فقد ذكر رحمه الله الإجماع بين

المسلمين على أن الردة تحبط الأعمال كلها قال الله تعالى ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ٢١٧ البقرة .

وأما أصحاب الكبائر فما كفّرهم وخلّدهم في النار إلا الخوارج والمعتزلة، ومذهبهم معلوم البطلان بين الناس .

يقول الشيخ رحمه الله في هذا « فإن الله ذكر في القرآن حد الزاني والسارق والقاذف ولم يجعلهم كفاراً مرتدين حابطي الأعمال ، ولا أمر بقتلهم كما أمر بقتل المرتدين ... وقد أمر ﷺ أصحابه بالصلاة على الغال وعلى القاتل نفسه ، ولو كانوا كفاراً أو منافقين لم تجز الصلاة عليهم ، فعلم أنهم لم يحبط إيمانهم كله ، وقال فيمن لعن مدمن الخمر « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله » ... والمعتزلة يدعون أنهم العدلية فأي عدل في أن تكون سيئة واحدة تحبط حسنات كثيرة أعظم منها قدراً ووصفاً ؟ وقد ثبت في الصحيح حديث أبي ذر « وإن زنى وإن سرق » .

٤ ـ ثم ناقش رحمه الله مسألة تابعة للمسألة السابقة وهي : هل السيئات تحبط بقدرها من الحسنات ؟ وهل تحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر ؟ فبين أن في المسألة قولين لأهل السنة ، فمنهم من ينكر الاحباط مطلقاً، ومنهم من يقول بذلك في البعض كما دلت عليه النصوص [١]

---

(١) لابن القيم بحث نفيس في هذه المسألة في مدارج السالكين ١ / ٢٧٨ـ ٢٨٢ فليراجع .

٥ ـ ثم تحدث رحـمه الله عن وزن الحـسنات والسيـئات، وهل الموزون الصحـائف أو الأعمال ؟ ثـم بسط القول في المسألة وخـلاف الناس في قلب الأعراض أجساماً ، فـمنهم من يجوز ذلك ، ومنهم من لا يجوزه . ثم خلص إلى أن الوزن على وجهين :

أ ـ أن يوضع بإزاء الحـسنات والسـيئات مـا يعـرف به مقـدارها، ثقلهـا وخفتها كما توزن الأموال .

ب ـ والثاني أن يوزن أحـدهما بالآخر ، كـما توزن دراهم زيد بدراهم عمرو ، مستدلاً على هذا بحديث البطاقة .



عملي في هذه الرسالة

١ ــ قمت بنسخ المخطوطة مع مـقابلتها على المطبوع ضـمن المجلد العاشر من مجموع الفتاوي .

٢ ــ خرجت أحاديثها بقدر الطاقـة مع التعليق على المسائل الهامة وعزو الآيات إلى سورها وذكر أرقامها .

٣ ــ من أهم مـا وفقت إليـه في إخراج هذه الرسـالة ــ ولله الحمـد على ذلك ــ هو أن الرسالة طبـعت مبتـورة في الفتاوى ثم طبـعت طبعة مسـتقلة . وفي هاتين المطبـوعـتين نقص لا يقل عن مئـة وخـمسـين سطراً من المخطوطة التركية، التي جعلتها أصلاً لتحقيق هذه الرسالة .

وإني لأجـدها مناسبـة سـانحـة هنا في حث طلاب العلم المختـصين في العلوم الشرعـية على الحرص في جمع مـخطوطات كتب ورسائل ابن تيـمية رحمـه الله ؛ فإن الشيخ ابن قـاسم رحـمه الله وابنه مـحمداً وفقـه الله قد بذلا جهـداً عظيماً ، نسأل الله أن يثـقل به موازينهمـا ، ولكنهما بشر من البـشر . ولهذا لاحظت ــولاحظ غـيري ــ أن هناك رسـائل بها خروم ليـست بسيطة في المجموع المطبوع .

فلو أن الجـامعـات والمؤسـسات العـلميـة جندت من هو أهل لجـمع هذا التراث العظيم ، ومقابلتـه وتحقيقه تحقيقاً علمـياً ، لكان في ذلك فائدة كبرى تخـدم العلم الشـرعي أولاً، ثم هي من حـقوق شـيخ الإسـلام على مـحبيـه

وعارفي فضله والله المستعان.

٤ ـ ختمت الرسالة بفهارس علمية .

هذا ما يسره الله لي ، ولا أستغني أبداً عن أي ملاحظة ، أو نقد علمي يوجه لعملي ، فكلنا بشر نخطىء ونصيب ، والله أسأل أن يجنبنا الزلل ، ويلهمنا رشدنا ، ويقينا شر أنفسنا، والحمد لله رب العالمين .

وصف النسخة المخطوطة

هذه الرسالة يوجد أصلها المخطوط بالمكتبة السليمانية باستانبول ضمن رسائل مجموعة عاشر أفندي ذات الرقم ١١٥٤ .

كتبت بخط نسخ جيد ، يغلب على ظني أنها كتبت سنة ٧٣٥ هـ ، وسبب ترجيحي لذلك هو : أن هذا المجموع من ضمن رسائله : العقيدة الواسطية . وقد كتب ناسخها في آخرها العبارة التالية :

(نجزت تعليقاً في خامس ذي القعدة من سنة ٧٣٥ هـ، بلغ مقابلة بأصل المنقول منه) واسم هذا الناسخ محمد بن أبي بكر الحنبلي ، وهذا الخط في الواسطية ، هو نفس الخط الذي كتبت به رسالتنا هذه ، ويوجد على الصفحة الأولى من المخطوطة ختم وقفية كبيرة ، كتب فيه ما يلي :

(حسبي الله . بسم الله الرحمن الرحيم وقف هذا الكتاب مصطفى رئيس الكتاب السابق لوجه الله الخالق ، وسلم للمتولي ، وحكم بصحته حاكم الشرع الشريف ، وشرط الاستفادة منه لأولاده قيم قيم وبعدهم : يعمل به كما في الوثيقة إلى قيام الساعة . وأخزى الله من اشتراه وباعه١١٥٤) .

أما عدد صفحاتها فهو ستة عشر صفحة من القطع الكبير ، وعدد أسطر كل صفحة ٢٣ سطراً .



النص المحقق



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

[قـا ل شيخ الإسـلام أحـمـد بن عبد الحليم بن تيـمية الحراني رحـمه الله [1]]

الحمـد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا مـحمد وآله أجـمعين ، وسلم تسليماً

فصل

في تزكية النفس ،وكـيف تزكو بترك المحرمات مع فـعل المأمورات ، قال الله تعالى ١٩٠ / ب ﴿ **قد أفلح من تزكى ، وذكـر اسم ربه فصلى** ﴾ [2] **وقال تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾** [3] .

قـال سفـيـان بن عيـينة [4] وقـتـادة [5]

---

(١) ما بين القوسين أضفته للحاجة إليه . (٢) الآية ١٤ ، ١٥ سورة الأعلى .

(٣) الآية ٩ ، ١٠ سورة الشمس .

(٤) سفيـان بن عيينة : الإمام الحافظ . أحد أعـلام الإسلام . ولد سنة ١٠٧ ومات سنة ١٩٨ هـ قال فيـه الشافعي : لولا مالك وابن عـيينة لذهب علم الحجـاز . حج سبعين سنة . طبقـات ابن سعـد ٥ / ٤٩٧ تاريخ بغـداد ٩ / ١٧٤ سـير أعـلام النبلاء ٨ / ٤٥٤ وشذرات الذهب ١ / ٣٥٤ .

(٥) قتادة : ابن دعـامة السدوسي البصري الضـرير ، حافظ العصر وقـدوة المفسرين.ولد سنة ٦٠ هـ وكـان من أوعيـة العلم وممن يضـرب به المثل في قـوة الحـفظ مـات سنة ١١٨ هـ طبقات ابن سعد ٧ / ٢٢٩ الجرح والتـعديل ٧ / ١٣٣ والسير ٥ / ٢٦٩ .والتهـذيب ٨ / ٣٥١ وطبقات الحافظ ٤٧ .

وغيرهما [١] : قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال [٢] .

وقال أبو الفرج [٣] : معنى « زكاها » طهرها من الذنوب ، وأصلحها بالطاعة .

وقيل : قد أفلحت نفس زكاها الله ، وخابت نفس دساها الله . وهذا قول الفراء [٤] .والزجاج [٥] ، وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس ، وهو منقطع لا يثبت ، وليس هذا مراد الآية ، بل المراد بها : هو الأول قطعاً لفظاً ومعنى .

أما اللفظ : فقوله « من زكاها » اسم موصول ، فلابد فيه من عائد على « من » فإذا قيل : قد أفلح الشخص الذي زكاها ، كان ضمير الفاعل في زكاها يعود على « من » ، وهذا وجه الكلام الذي لا ريب في صحته . كما يقال : قد أفلح من اتقى الله ، وقد أفلح من أطاع ربه ، [وقد أفلح

---

(١) في المطبوع : قال قتادة وابن عيينة . وهو الصواب للفرق الزمني بين الإمامين .

(٢) انظر تفسير القرطبي [الجامع لآحكام القرآن] ٢٠ / ٢١ .

(٣) أبو الفرج : هو ابن الجوزي الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي البغدادي الحنبلي ولد سنة ٥٠٩ هـ ومات سنة ٥٩٧ هـ قال الإمام موفق الدين : لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها . السير ٢١ / ٣٦٥ والبداية ١٣ / ٢٨ .

(٤) الفراء : العلامة صاحب التصانيف أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي الكوفي النحوي . كان ثقة . مات ٢٠٧ هـ وعمره ٦٣ سنة . تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٦ والسير ١٠ / ١١٨.

(٥) الزجاج : الإمام . نحوي زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي صاحب كتاب معاني القرآن مات سنة ٣١١ هـ . تاريخ بغداد ٦ / ٨٩ ووفيات الأعيان ١ / ٤٩ والسير ١٤ / ٣٦٠ .

من خاف منه]*.

وأما إذا كان المعنى : قد أفلح من زكاه الله لم يبق في الجملة ضمير يعود على « من » .

فإن الضمير على هذا يعود على الله على هذا القول ، وليس هو « من » وضمير المفعول يعود على النفس المتقدمة ، فلا يعود على « من » لا ضمير الفاعل ولا ضمير المفعول ، فتخلو الصلة عن عائد . وهذا لا يجوز .

نعم لو قيل : قد أفلح من زكى الله نفسه ، أو من زكاها الله له ، ونحو ذلك صح الكلام ، وخفاء مثل هذا على من قال بهذا من النحاة عجبٌ . وهو لم يقل : قد أفلحت نفس زكاها . فإنه هنا كانت تكون « زكاها » صفة لنفس لا صلة ، بل قال : قد أفلح من زكاها ، فالجملة صفة ** لـ « من » لاصفة لها . ولا قال أيضاً : قد أفلحت النفس التي زكاها ، فإنه لو قيل ذلك وجعل في « زكاها » ضمير يعود على اسم الله صح ، وإنما قال ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾٩/ الشمس، فإذا تكلف أهل هذا القول وقالوا التقدير: قد أفلح من زكاها. أي النفس التي زكاها ، وقالوا في « زكى » ضمير ، والمفعول يعود على « من » وقالوا « من » تصح للمذكر والمؤنث والواحد والعدد فالضمير عائد على معناها المؤنث ، وتأنيثها غير حقيقي فلهذا قيل : قد أفلح ولم يقل قد أفلحت ، قيل لهم : هذا مع أنه خروج عن اللغة الفصيحة فإنما يصح إذا دل الكلام على ذلك في مثل قوله [﴿ **ومن يقنت منكن لله**

* ليست في المطبوعة .

** في المطبوعة صلة .

ورسوله وتعمل صالحاً ﴾[١] فإن قوله منكن دل] * على أن المراد : النساء ، فقيل : تعمل . وكذلك قوله : ﴿**ومنهم من يستمع إليك**﴾ [٢] ونحو ذلك .

وأما هنا فليس في لفظ « من » وما بعدها ما يدل على أن المراد بهذا النفس المؤنثة [فإنه لم يقل : قد أفلحت ، ولا قال: قد أفلح من النفوس من زكاها . وقد تقدمها قوله ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها**﴾[٣] ثم قال ﴿**قد أفلح // من زكاها ، وقد خاب من دساها**﴾[٤] فتقدم ما يصح عود ضمير المؤنث إليه ، ولم يتقدم دليل على عوده إلى غير ذلك]* فلا يجوز أن يراد بالكلام ما ليس فيه دليل على إرادته؛ فإن مثل هذا تلبيس يصان كلام الله عز وجل عنه ، فلو قدر احتمال عود ضمير زكاها إلى نفس وإلى « من » مع أن لفظ « من» لا دليل يوجب عوده إليه لكان إعادته إلى المؤنث المعلوم تأنيثه أولى من إعادته إلى ما يحتمل التذكير والتأنيث ، وهو في التذكير أظهر لعدم دلالته على التأنيث ، فإن الكلام [إذا]* احتمل معنيين وجب حمله على أظهرهما الذي يدل على

١٩١/أ

---

(١) الآية ٣١ الأحزاب .

* ما بين المعكوفين ليس في المطبوعة بل كتب في هامش ٦٢٧ / ١٠ . بياض بالأصل . والصحيح ما في هذه النسخة التركية .

(٢) الآية ٤٢ يونس .

(٣) الآية ٧ ـ ٨ الشمس .

(٤) الآية ٩ ـ ١٠ الشمس .

* ما بين المعكوفين ليس في المطبوعة .

** من المطبوعة .

الكلام [ولا يجوز حـمله على الآخر بلا دليل ارادته] ومن تكلف غـير ذلك فقد خرج عن كلام العرب المعروف ، والقرآن منزه عن ذلك ، والعدول عما يدل عليه ظاهر الكلام إلى ما لا يدل عليـه بلا دليل لا يجوز البته . فكيف إذا كان نصاً من جهة المعنى ! فقد أخبر الله أنه يلهم التقوى والفجور ، ولبسط هذا موضوع آخر .

والمقـصـود هنا : أمـر الناس بتـزكـيـة أنفسـهم [والتـحـذير من]* تدسيسـها ، كما قـال في السورة الأخرى ﴿ **قـد أفلح من تزكى** ﴾ (١) فلو قدر أن المعنى : أفلـح من زكى الله نفسه لم يكن في هـذا أمر لهم ولا نهي ، ولا ترغيب ولا ترهيـب، والقـرآن إذا أمـر أو نهى لا يذكـر مـجرد [القـدر] فلا يـقول : من جـعله الله مـؤمناً بل يقـول: ﴿ **قـد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهـم خاشـعون** ﴾(٢) و ﴿ **قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ (٣) إذ ذكر مجـرد القدر في الأمر والنهي والترغـيب والترهيب يناقض المقـصـود ، ولا يـليق هذا بأضعف الناس عـقـلاً ، فكيـف بكلام الله تعـالى؟ ألا ترى أنه في مـقـام الأمر والـنهي والتـرغيب والتـرهيب يذكـر مـا يتناسب ذكره من الوعـد والوعيد والمدح والذم، [والتـخصيص والترهيب]** وإنما يذكـر القـدر عـنـد بيـان نعـمـه عليـهم : إمـا بما ليس من أفعـالهم ، وإمـا بـإنعامـه بالإيمان والعـمل الصـالح، ويذكـره في سيـاق قـدرته

---

* من المطبوعة .
(١) الآية ١٤ الأعلى .
(٢) الآية ١ ـ المؤمنون
(٣) الآية ١٤ ـ ١٥ الأعلى .
** ليس في المطبوعة .

ومشيئته، وأما في معرض الأمر فلا يذكـره إلا عند النعـم كقـوله ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء** ﴾[1] فهذا مناسب ، وقوله ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ معنى آخر ، وهذه الآية من جنس الثانية ، لا من جنس الأولى .

والمقصـود : ذكر التزكـية . قـال الله تعالى ﴿ **قل للمـؤمنين يغضـوا من أبصـارهم ويحـفظـوا فـروجهـم ذلك أزكـى لهم** ﴾[2] الآية . وقـال تعالى ﴿**وإن قـيل لكم ارجعـوا فـارجعـوا هو أزكى لكم** ﴾[3] وقال تعـالى ﴿**وويل للمشـركين الذين لا يؤتـون الزكـاة** ﴾[4] وقـال تعـالى ﴿ **وما عـليك ألا يزكى**﴾[5] [وقال موسى لفرعـون ﴿ **هـل لك إلى أن تزكى ، وأهـديك إلى ربـك فتـخشـى** ﴾[6] وقـال ﴿ **ذلك جـزاء مـن تزكى**﴾[7]]* .

وأصل الزكاة : الزيادة في الخير ، ومنه يقال : زكى الزرع، وزكى المال:

---

(١) الآية ٢١ النور .

(٢) الآية ٣٠ النور .

(٣) الآية ٢٨ النور .

(٤) الآية ٦ ـ ٧ فصلت .

(٥) الآية ٧ عبس .

(٦) الآية ١٨ ـ ١٩ النازعات . قال ابن كثير الزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك . التفسير ٧ / ١٥٣ طبعة الشعب .

(٧) الآية ٧٦ طه .

* ليس في المطبوعة .

إذا نما [١] ، ولن ينمو الخير إلا بترك الشر، كالزرع الذي لا يزكو حتى يزال عنه الدغل [٢] .

فكذلك النفس والأعمال لا تزكوا [حتى يزال عنها ما يناقضها] * ولا يكون الرجل متزكياً قد زكى إلا مع ترك الشر، [ومن لم يترك الشر لا يكون زاكياً البته // فإن الشر]** يدنس النفس ، ويدسيها . قال الزجاج : معنى «دساها » جعلها ذليلة [حقيرة]* خسيسة [٣] . ١٩١

وقال الفراء : دساها : لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله .

قال ابن قتيبة [٤] : أي أخفاها بالفجور والمعصية ، فالفاجر بارتكاب الفواحش دسّ نفسه أي قمعها [وخباها] * وصانع المعروف : شهر نفسه ورفعها ، وكانت أجواد العرب تنزل الربى

---

(١) في تعريف الزكاة انظر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢ / ٣٠٧ تحقيق الطناحي .

(٢) الدغل : هو الشجر الملتف الذي يكمن أهل الفساد فيه . المصدر السابق ٢/ ١٢٣.

* من المطبوعة .

** ليس في المطبوعة .

(٣) قال الخليل : دسا يدسو دسواً ودسوة : نقيض زكا يزكو زكاة ، فهو داس وقد تدس ودس نفسه . وقيل : التدسية : الإغواء والإغراء وأنشد :

وأنت الذي دسيت عمرا فأصبحت حلائله منه أرامل ضيقاً

المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث لأبي موسى الأصفهاني ١ / ٦٥٦ تحقيق عبد الكريم العزباوي

(٤) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي ولد سنة ٢١٣ هـ ومات سنة ٢٧٦ هـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٧٠ وفيات الأعيان ٣ / ٤٢ والسير ١٣ / ٢٩٦ .

* من المطبوعة

تشتهر بذلك أنفسها ، واللئام تنزل الأطراف [والوديان [(١)]] * فالبر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر ، بحيث يجد الإنسان في نفسه أنه اتسع وعظم عما كان [عليه] * والفجور والبخل يقمع النفس ويصغرها ويهينها بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق. وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث الصحيح فقال « مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها قال : وأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول بإصبعه في جيبه ، فلو رأيته يوسعها ولا تتسع » أخرجاه [وهذا لفظ مسلم [(٢)]]** وإخفاء المنزل وإظهاره تبعاً لذلك .

قال الله تعالى ﴿ **يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب** ﴾ [(٣)] فهكذا النفس البخيلة الفاجرة قد دسها صاحبها في البدن ، وبعضها في بعض ، ولهذا وقت الموت تنزع من بدنه كما ينزع السفود من الصوف المبتل ، والنفس البرة الزكية قد زكاها صاحبها

---

(١) انظر نص ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن ٣٤٤ ـ ٣٤٥ تحقيق السيد أحمد صقر.

(٢) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل ٢ / ٧٠٨ ح ١٠٢١ ، وصحيح البخاري كتاب الزكاة باب مثل المتصدق والبخيل ٣ / ٣٠٥ ، وكتاب الجهاد ٦ / ٩٩ ، وفي اللباس ١٠ / ٢٦٧ .

* من المطبوعة

** ليس في المطبوعة .

(٣) الآية ٥٩ النحل .

فارتفعت واتسعت ومجدت ونبلت. فوقت الموت تخرج من البدن كما تخرج الشعرة من العجين [١].

قال ابن عبـاس : إن للحسنة لنوراً في القلب ، وضيـاءً في الوجه ، وقوة في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة في القلب ، وسواداً في الوجه ، ووهناً في البدن ، وضيقاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق [٢] .

وقد قال تعالى ﴿ **والبلد الطيب يخرج نبـاته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً** ﴾ [٣] وهذا مثل البخيل والمنفق.

وقال تعالى ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صـدره ضيقـاً حرجاً كـأنما يصّعد في السـماء** ﴾ [٤] وقال تعالى ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـات إلى النور** ﴾ [٥] الآية ونحوها .

وقوله تعالى في سياق ذكر الرمي بالفاحشة، وذم المظهر لها، والمتكلم بما

(١) يشير بهـذا إلى الحديث الذي فيه صفـة نزع روح المؤمن ونزع روح الكافر ، انظر المسند ٤ / ٢٨٧ وأبو داود في السنة ٥ / ١١٤ ح ٤٧٥٣ وابن جرير ١٣ / ٢١٧ والبـيهقي في عذاب القبر ٣٧ ح ٢٠ وقال : حديث كبير صحيح الإسناد وانظر الدر المنثور ٥ / ٢٦ .

(٢) أثر ابن عبـاس لم أجده ولكن ورد عن الحسن بن صـالح كما في الحليـة ٧ / ٣٣٠ العمل بالحسنة قوة في البدن ، ونور في القلب وضوء في البصـر ، والعمل بالسيئة وهن في البدن وظلمة في القلب وعمى في البصر .

(٣) الآية ٥٨ الأعراف .

(٤) الآية ١٢٥ الأنعام .

(٥) الاية ٢٥٧ البقرة .

لا يعلم ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء ﴾ [١] فبين أن الزكاة إنما تحصل بترك الفاحشة ، ولهذا قال **﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ﴾** [٢] وذلك لأن ترك السيئات هو من أعمال النفس ، فإنه يؤمن أن السيئات مذمومة ويكره فعلها ،ويجاهد نفسه إذا دعته إليها [إن كان مصدقاً لكتاب ربه مؤمناً بما جاء عن نبيه ﷺ] * وهذا التصديق والكراهة وجهاد النفس // أعمال تعملها النفس المزكاة ، فتزكو النفس بذلك ، بخلاف ما إذا عملت السيئات فإنهاتندس وتنقمع كالزرع إذا نبت معه الدغل .

والثواب إنما يكون على عمل موجود ، والعقاب إنما يكون على عمل موجود .

فأما العدم المحض فلا ثواب فيه ولا عقاب ، لكن فيه عدم الثواب والعقاب ، والله تبارك وتعالى أمر الناس بالخير ونهاهم عن الشر ، وقد اتفق الناس على أن المطلوب بالأمر : فعل موجود . واختلفوا في النهي [وهو الترك]** هل هو أمر وجودي أو أمر عدمي ؟ فقيل : المطلوب أمر وجودي وهو الترك وهذا قول الأكثرين . وقيل المطلوب عدم الشر وهو ألا

---

(١) الآية ٢١ النور .

(٢) الآية ٣٠ النور .

* من المطبوعة .

** ليس في المطبوعة .

يفعله [ومن قال هذا قال : لو لم يخطر المنهي عنه بباله بحال لكان ممتثلا] ** .

وتحقيق الأمر : أن المؤمن إذا نهي عن المنكر فلابد أن يقر بهذا النهي ، ويعزم على ترك المنهي عنه ويكره فعله ، وهذا أمر وجودي بلا ريب ، فلا يتصور أن المؤمن الذي يعلم أنه [1] نهي عن فعل لا يصدر منه أمر وجودي لكن قد لا يكون مريداً لما نهي عنه بل هو كاره له طبعاً ، كما يكره الإنسان أكل الميتة والعذرة مع نهي الشارع له عن ذلك لكن مع نهي الشارع فلابد من اعتقاد التحريم والعزم على تركه لطاعة الشارع ، وهذا قدر زائد على كراهة الطبع وهذا أمر وجودي يُثاب عليه، ولكن ليس ثواب من كف نفسه وجاهدها لطلبها الفعل المحرم كثواب من يكرهه طبعه . ومن كانت كراهته للمحرمات كراهة إيمان ، وقد غمر إيمانه حكم طبعه ، فهذا على الأقسام الثلاثة ، وهذا صاحب النفس المطمئنة وهو أرفع من صاحب النفس اللوامة [2] التي تفعل الذنب وتلوم صاحبها عليه وتتردد هل يفعل أو لا

---

(١) من المطبوعة : كتب في الهامش : بياض في الأصل . قلت : والصواب ما أثبتناه إن شاء الله .

** ليس في المطبوعة .

(٢) **النفس المطمئنة** : هي التي تطمئن بذكر الله والإنابة إليه ، والشوق إلى لقائه ، والأنس بقربه ، وهي التي يقال لها عند الوفاة : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾ فهي نفس قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه ، واطمأنت إلى محبته وعبوديته ، وإلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته ، والرضى به رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ رسولاً ،واطمأنت بأن الله هو إلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله فلا غنى لها عنه طرفة عين .

وأما النفس الأمارة بالسوء : فهي ما كان بضد ما وصفت به المطمئنة . فهي أمارة بالسوء بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل ، فهي مأوى كل سوء، ومن أطاعها قادته إلى كل قبيح ومكروه .

يفعل . وأما من لم يخطر بقلبه أن الله حرّمه ، ولا هو مريد له ، بل لم يفعله، فهذا لا يعاقب عليه ولا يثاب إذا لم يحصل منه أمر وجودي يثاب عليه ، فمن قال : المطلوب ألا يفعل : إن أراد أن هذا المطلوب يكفي في عدم العقاب فقد صدق [فإذا لم يصدر منه ذنب لم يعاقب] * وإن أراد أن يثاب على هذا العدم فليس كذلك [فإن الثواب لا يكون إلا على أمر وجودي ، وكذلك العقاب أيضا] * فإن الكافر إذا لم يؤمن بالله ورسوله فلابد أن يكون لنفسه أعمال تشتغل بها عن الإيمان ، وتلك الأعمال كفر يعاقب عليها.

ولهذا لما ذكر الله عقوبة الكفار في النار ذكر أموراً وجودية عوقبوا عليها ، وتلك [الأمور المباينة للإيمان] * تدس النفس .

ولهذا كان التوحيد والإيمان أعظم ما تتزكى به النفس، وكان الشرك أعظم ما يدسيها ، وتتزكى بالأعمال الصالحة والصدقة ، وهذا كله مما ذكره السلف في التزكي . قالوا في ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ (١) من تطهر من الشرك ومن المعصية بالتوبة . وعن أبي سعيد وعطاء وقتادة : صدقة الفطر // ١٩٢/ب

= **وأما النفس اللوامة**: قال مجاهد : هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه ، وقال عطاء عن ابن عباس : كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد احساناً ، وتلوم المسيء نفسه إن لا يكون رجع عن اساءته . وقال الحسن : إن المؤمن ـ والله ـ ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها في كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه وإن الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه . أنظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١ / ٧٦ ـ ٧٨ فإنه نفيس في بابه .

* ليس في المطبوعة .

(١) راجع في هذا كلاما قيما للمصنف رحمه الله في رسالة العبودية ص ١٠٠ طبع المكتب الإسلامي .

وهؤلاء لم يريدوا أن الآية لم تتناول إلا صدقة الفطر بل مقصودهم : إن من أعطى صدقة الفطر وصلى صلاة العيد فقد تناوله قوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ ولهذا كان يزيد بن حبيب (١) كلما خرج إلى الصلاة خرج ومعه صدقة يتصدق بها قبل الصلاة ، ولو لم يجد إلا بصلاً .

وقال الحسن : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ من كان عمله زكياً. وقال أبو الأحوص (٢): زكوات الأموال * كلها. وقال الزجاج : تزكو بتقوى الله عز وجل، ومعنى الزاكي النامي الكثير. وكذلك قالوا في قوله تعالى ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾(٣) قال ابن عباس لا يشهدون أن لا إله إلا الله. [وهو قول عكرمة(٤) .قيل المعنى : لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد] ** وقال مجاهد : لا يزكون أعمالهم: أي ليست أعمالهم زاكية [وقيل : لا يطهرونها بالإخلاص] *** وعن

---

(١) يزيد بن حبيب : أبو رجاء الأزدي . الإمام الحجة مفتي الديار المصرية ، ولد بعد سنة خمسين في دولة معاوية وهو من صغار التابعين ، وكان من أجلة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى مع كونه مولى أسود . مجمع على الاحتجاج به . مات سنة ١٢٨ هـ . السير ٦ / ٣١ .

(٢) أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الحنفي الكوفي . الحافظ . ثقة متقن مات سنة ١٩٩ هـ تهذيب الكمال ١ / ٥٦٢ والتهذيب ٤ / ٢٨٢ .

* في المطبوعة : الأمور .

(٣) الآية ٦ ـ ٧ فصلت .

(٤) أخرجه ابن جرير ٢٤ / ٩٢ وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات ١ / ٢٧١ ح ٢٠٥ بإسناد ضعيف وانظر الدر المنثور ٧ / ٣١٣ .

** ليس في المطبوعة .　　　　*** من المطبوعة .

الحسن : لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها ، وعن الضحاك : لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة (١) ، وعن ابن السائب (٢) : لا يعطون زكاة أموالهم قال : كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون . والتحقيق : أن الآية تتناول كل ما يتزكى به الإنسان من التوحيد والأعمال الصالحة [كما قال موسى لفرعون]× ﴿ **هل لك إلى أن تزكى**﴾ (٣)وكما قال ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ والصدقة المفروضة لم تكن فرضت عند نزول هذه الآية وهي قوله ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ فإن قيل:«يؤتي » فعلٍ متعدٍ : قيل هذا كقوله ﴿ **ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها**﴾(٤) [وقد تقدم هذا قوله ﴿ **كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً** ﴾ (٥) الآية وما بعدها] × فقد أخبر أن الرسول دعاهم ، ودعاءه اياهم إلى ما دعاهم : طلب منه . كذلك قال ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ أي لا يؤتونه ما طلب منهم ، فكان هذا اللفظ متضمنا قيام الحجة عليهم بالرسل وهو إنما يدعوهم لما تزكو به أنفسهم

---

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ٣٤٠ .

(٢) **ابن السائب** : هو عبد الله بن علي بن السائب القرشي المطلبي روى عن عثمان وغيره التهذيب ٥ / ٣٢٥ .

(٣) ذكر نحو هذا العلامة ابن كثير في تفسيره ٧ / ١٥٣ .

× ليس في المطبوعة .

(٤) الآية ١٤ الأحزاب .

(٥) الآية ٣ ـ ٤ فصلت .

ومما يبين× أن الزكاة تستلزم الطهارة ـ لأن معناها معنى الطهارة ـ قوله تعالى ﴿ **خذ من أموالهـم صدقة تطهرهم وتزكـيهم بها** ﴾ (١) تطهرهـم من الشر وتزكيهم بالخير [فتذهب عنهـم السيئات فيصيرون طـاهرين منها. وتزكو أنفسـهم حينئذٍ بالعمـل الصـالح مع زوال الذنوب] (٢) ×× .

قـال النبي صلى اللّه عليه وسلم « اللهـم طهـرني بالمـاء والثلـج والبـرد [اللـهم نقني من خطايـاي كـمـا ينقى الثـوب الأبـيض من الدنس ، اللهم باعـد بيـني وبين خطـاياي كمـا باعدت بين المشـرق والمغرب] ×× (٣) وكـان يدعـو به في استـفـتـاح الصلاة وفي الإعـتـدال من الركـوع [وكذلـك في الحـديـث // الصحيـح أنه صلى الله عليه وسلم صلى على ١٩٣/أ ميت فقـال: «اللـهم اغسـله بماء وثلـج وبرد ونقـه من الخطايا كـمـا ينـقى الثـوب الأبيـض من الدنـس » (٤) والغسل] ×× بهـذه الأمـور يوجب تبريد المغسـول ، والبرد يعطي قـوة وصلابة ، ومـا يسـر يوصف بالبـرد ويقال: قرة عين. ولهذا كان دمع السـرور بارداً ، ودمـع الحزن حـاراً ، لأن مـا يسـوء النفـس يوجب حزنهـا وغمـهـا [وذلك يسـخن البـاطن] ×× ومـا يسرها يوجب فـرحهـا وسـرورها وذلـك ممـا يبـرد البـاطـن. [ولهـذا يقـال: بـرد قلبي]×× فـسـأل [النبـي] ×××

(١) الآية ١٠٣ التوبة .
(٢) ورد نحو هذا التفسير عن الضحاك كما أخرج ابن أبي حاتم، انظر الدر المنثور ٤/٢٨١.
(٣) تخريجه : البخارى في صفة الصلاة / باب الدعاء بعد التكبير ٢ / ١٩٠ ، ١٩١ ومسلم في المساجد ح ٥٩٨ وأبو داود في الصلاة ٧٨١ والنسائي ٢/ ١٢٨ وانظر جامع الأصول ٤ / ١٨٣ .
(٤) تخريجه : صحيح مسلم / كتاب الجنائز ح ٩٦٣ .
× في المطبوعة يليق وهو خطأ .
×× ليس في المطبوعة .
××× من المطبوعة .

ﷺ أن تغسل الذنوب على وجه يبرد القلوب أعظم برد يكون بما فيه من الفرح والسرور الذي أزال عنه ما يسوء النفس من الذنوب . وقوله « بالثلج والبرد والماء البارد » تمثيل بما هو من هذا الجنس ، وإلا فنفس الذنوب لا تغسل بالثلج ، ويقال: أذقنا برد عفوك ، وحلاوة مغفرتك . ولما قضى أبو قتادة دين المدين قال النبي ﷺ : « الآن بردت جلده » (١) ويقال برد اليقين، وحرارة الشك، ويقال : هذا [الأمر] * يثلج له الصدر ، إذا كان حقاً يعرفه القلب ويفرح به ، حتى يصير في مثل برد الثلج ، فيقال : هذا يثلج له الصدر . ومرض النفس إما بشبهة وإما هوى شهوة أو غضب ، والثلاثة توجب السخونة. ويقال لمن نال مطلوبه : برد قلبه [ولمن لم يحصل مطلوبه: ما في هذا ما يبرد قلبه] ** فإن الطالب فيه حرارة حركة الطلب ، [وإذا وجد المطلوب سكن واطمأن وبرد قلبه]**.

وقوله تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ دليل على أن عمل الحسنات يطهر النفس ويزكيها من الذنوب السالفة . فإنه قال هذا بعد قوله ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾ (٣) الآية ، وما بعدها . فالتوبة والعمل الصالح يحصل بها التطهير والتزكية ، ولهذا قال في سياق قوله ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **وتوبوا إلى**

---

(١) مسند أحمد ٣ / ٣٣٠ .
* من المطبوع .
** ليس من المطبوع .
(٣) ١٠١ التوبة .

الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (١) فأمرهم جميعاً بالتوبة في سياق ما ذكره من الأمر بغض البصر وحفظ الفرج ؛ لأنه لا يسلم أحد من ذنب من هذا الجنس كما في الصحيح [عن ابن عباس قال : ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة] × عن النبي ﷺ قال « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا [أدرك ذلك لامحالة ، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع ، واللسان يزني وزناه النطق ، واليدان تزني وزناهما اللمس ، والرجلان تزني وزناهما المشي ، والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه] » (٢) × وكذلك في الصحيح أن قوله تعالى **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾** (٣) نزلت بسبب رجل نال من امرأة كل شيء إلا الجماع ثم ندم وجاء تائباً فأنزل الله تعالى هذه الآية (٤) // ويحتاج المسلم في ذلك إلى أن يخاف الله وينهى النفس عن الهوى ١٩٣/ب [كما قال تعالى **﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾** (٥)] × ونفس الهوى

---

(١) ٣٠ ـ ٣١ النور .
× ليس في المطبوع .
(٢) البخاري في الاستئذان ١٠ / ٢٢ باب زنى الجوارح دون الفرج ، ومسلم في القدر ح ٢٦٥٧ وأبو داود في النكاح ٢١٥٢ وأحمد ٢ / ٢٧٦ .
(٣) الآية : ١١٤ هود .
(٤) البخاري في مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة ٢ / ٧ وفي تفسير سورة هود ، وصحيح مسلم ٢٧٦٣ في التوبة ، والترمذي في التفسير ٣١١١ ، وأبو داود في الحدود ٤٤٦٨ ، وأحمد ٤٢٥٠ .
(٥) الآية ٤٠ ـ ٤١ النازعات .
× ليس في المطبوع .

والشهوة لا يعاقب عليها وإنما على إتباع ذلك وفعله ، فإذا كانت النفس تهوى وتشتهي وهو ينهاها كان نهيه إياها عبادة لله تعالى وعملا صالحاً [يثاب عليه] × وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال «المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله » (١) فإذا كانت النفس تهوى المحرم وتدعو إليه أُمر بنهيها ومجاهدتها ، كما يؤمر بجهاد من يأمر بمعاصي الله [من الناس] × ويدعو إليها ، وهو إلى جهاد نفسه أحوج منه إلى ذلك ، فإن هذا فرض عين عليه وذاك فرض كفاية . والصبر في هذ ا الجهاد من أفضل الأعمال ، فإن هذا الجهاد حقيقة ذلك الجهاد ، فالصبر عليه صبرٌ على ذلك الجهاد كما قال « والمهاجر من هجر السيئات»(٢) [ومن هجر ما نهى الله عنه ثم جاهد النفس لا يكون محموداً فيه إلا إذا غلب ، بخلاف جهاد الكفار فإنه ﴿**ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما**﴾ (٣) وأما هذا فإذا غُلب كان ملوماً مذموماً] ×× ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »(٤) وذلك لأن الله أمر الإنسان أن ينهى نفسه عن الهوى وخوّف مقام ربه فجعل××× له

---

(١) الترمذي في فضائل الجهاد ٣ / ١٦٥ ح ١٦٢١ وليس فيه لفظ « في ذات الله » وقال حسن صحيح .

(٢) الطبراني في الكبير ١٩ / ١٧٦ ح ٤٠٠ وأصله في الصحيح بلفظ « المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه » صحيح البخاري في الايمان باب من سلم المسلمون من لسانه ويده ١ / ٥٠ ومسلم في الإيمان ح ٤٠ وأبو داود في الجهاد ٢٤٨١ .

(٣) الآية ٧٤ النساء .

× ليس في المطبوع .

×× ليس في المطبوع بتمامه الذي سقته هنا .

××× في المطبوع : فحصل .

(٤) البخاري في الأدب باب الحذر من الغضب ١٠ / ٤٣١ ومسلم في البر والصلة والأدب ح ٢٦٠٩ ومالك في الموطأ في حسن الخلق ٢ / ٩٠٦ .

من الإيمان مـا يعينه على الجـهاد ، فإذا غُلب كـان لضعف إيمانه فـيكون مفـرطاً بترك المأمور . بخلاف العـدو الكافر فإن ذلك قـد يكون بدنه أقوى [من بدن المؤمن فيغلبه فيـستشهد المؤمن فيثيبـه الله على مجاهدته وإن قتل ، إذ لا ذنب له هناك] × فـالذنوب إنما تقع إذ لم تكن النفس ممـتثلة لما أمـرت به ، ومع امتثال المأمور لا تفعل المحظــور فإنهمـا ضـدان . قال الله تعـالى ﴿**كذلك لنصـرف عنـه السـوء والفـحـشـاء إنه من عـبـادنا المخلـــصين**﴾[1] وقـال الشيطان ﴿ **لأغوينهم أجـمعين إلا عبـادك منهم المخلصين** ﴾ [2] قال تعـالى ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾ [3] الآية ونحوها .

فعـباد الله المخلصـون لا يغويهم الشـيطان ، والغي خلاف الـرشد ، وهو اتباع الهـوى ، فمن مـالت نفسـه إلى محرم فليـأتِ بعبـادة الله كمـا أمر الله تعالى مخلصـا له الدين ، فإن ذلك يصرف عنه السوء والفحـشاء ، وإخلاص الدين له يتـضمن : خـشـيتـه ومحـبتـه والعبـادة له وحـده وهذا يكون مانعـاً للسيئات من الوقــــوع إذا كان تامـاً×× فإن كان ناقصـاً فوقعت السيئات من صاحبـه كان ماحياً لهـا بعد الوقوع ، فهو كـالترياق الذي يدفع أثر السم ويرفـعه بعـد حصـوله ، فهـو دافع للسيئـات ورافع لها، كـالغذاء من الطعـام والشراب الذي يمنع حـصول العطش، ويرفع الجوع والعطش بعد حـصوله ، وكالاستـمتاع بالحـلال الذي يمنع النفس عن طلب الحرام ، وإذا حصل فـيها

× ليس في المطبوع بتمامه الذي سقته هنا .

(١) الآية : ٢٤ يوسف .

(٢) الاية : ٤٠ الحجر .

(٣) الآية : ٤٢ الحجر .

×× في المطبوعة : تائباً .

طلب لذلك منعه وأزاله ، وكـالعلم الذي يمنع النفس أن تشك وترتاب ، ويرفع الشك والارتياب بعد وقوعه ، وكالطـب الـذي يحفظ الصـحة ويدفع المرض . [والصحة //تحفظ بالمثل والمرض يدفع بالضد](١) وكذلك ما ١٩٤/أ في القلب من الإيمان وعبـادة الله عز وجل [يحـفظ] (٢) بأشباهه بما يقوي الإيمان والعبادة ، وإذا حصل في القلب مرض من الشبهات والشهوات أزيل ذلك بضده ، ولا يحصل المرض إلا لنقص أسباب الصحة ، كذلك القلب لا يمرض بالشهـوات والشبهات إلا لنقص إيمانه [وعبادته لربه] (٢)، وكذلك الإيمان والكفـر والبر والفـجور همـا متضـادان ، فكل ضدين فـأحدهمـا يمنع الآخـر تارة ويرفعـه أخـرى ، كالسـواد والبـياض [فـالسـواد يمنع البيـاض أن يحـصل] (٣) موضـعه ، ويرفعـه إذا كان حـاصـلاً . كذلك الحسنات تمنع السـيئات [أن تحصل وتدفعها بعد الحصول، وكذلك بالعكس فالكفر يمنـع الإيمـان وقـد يرفعه بعـد حصـوله ، والسـيئات قـد تمنع الحسنات وقد ترفعهـا بعد الحصول. والإحبـاط الذي ينكره سلف الأمة وأهل السنة ليس هو مـا تقـول الخوارج والمعتزلة من أن السيئة الواحـدة الكبيـرة تحبط جميع الحسنات حتى الإيمان ، وإن مـات مصراً على كـبيرة لم يكن مـعه من الإيمان شيء أصـلاً بل هو مخـلد في النار ، ولا يخرج منـها لا بشـفاعـة ولا غيرها، وقال كـثير منهم] (٤) الجبـائي وابنه (٥) بالموازنة [بين الحسـنات

---

(١) ليس في المطبوعة . (٢) من المطبوعة .

(٣) في المطبوعة كتب : في الأصل بياض وما بين القوسين من التركية .

(٤) ليس في المطبوعـة ، بل الذي في المطبوعة مكتـوب بهامشه بيـاض بالأصل مما جعل هذا الكلام يخرج في المطبوعة مشوها وغير مفهوم أنظر ج ١٠ / ٦٣٧ الفتاوى .

(٥)**الجبائي** : شيخ المعتزلة أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري مات سنة ٣٠٣ هـ كان=

والسيئات] [١] لكن قالوا : من ترجـحت سيئـاته خلد في النار ، وأما الموازنة بلا تخليد في النار : فهو قول [عامة السلف وأكثر أهل السنة][٢].

ومن الإحـباط : مـا اتفق المسلمون عليـه : وهو حبـوط الحسنات كلـها بالكفر .[فهذا مما اتفق عليه الناس : أن الردة التي يموت صـاحبها عليها تحبط الأعمـال كلها ؛ لأن الكافــر ليس له حسـنة يـدخل بها الجــنة] [٣] قــال تعــالى ﴿ **ومن يرتدد منكم عن دينــه فيـمت وهو كـافر فـأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ [٤] وقال تعـالى ﴿ **ومن يكفـر بالإيمـان فـقـد حبط عـمله وهو في الآخـرة من الخاسرين** ﴾ [٥] وقــال تعـــالى ﴿ **ولو أشـركـوا لحبط عنهم مـا كـانوا يعملون**﴾[٦] وقال تعالى ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ [٧] .

[فهـذا الإحباط مـتفق عليه ، وذاك الإحـباط مـخالف لأقوال الصـحابة والتـابعين وأئمـة الدين] [٨] فـإن الله ذكـر في القـرآن حـد الزاني والسـارق

= على بدعـته متـوسعـاً في العلم سيـال الذهن . مقـالات الإسلامـيين ١ / ٢٣٦ وسيـر أعلام النبلاء ١٤ / ١٨٣ والبداية والنهاية ١١ / ١٢٥ .

أمـا ابنه : فهـو عـبد السـلام : المتكلم المشـهـور مات سنـة ٣٢١ هـ السير ١٤ / ١٨٣ هامش.

(١) في المطبوعة كتب : بياض بالأصل . وما بين القوسين من التركية .

(٢) في المطبوعة كتب : بياض بالأصل .

(٣) ليس في المطبوعة وهو نقص أخل بالمعنى في المطبوعة إخلالا بينا .

(٤) الآية : ٢١٧ البقرة .

(٥) الآية : ٥ المائدة .

(٦) الآية : ٨٨ الأنعام .

(٧) الآية ٦٥ الزمر .

(٨) ليس في المطبوعة وهو نقص أخل بالمعنى في المطبوعة إخلالاً بيناً .

والقاذف ولم يجعلهم كفاراً مرتدين حابطي الأعمال ، ولا أمر بقتلهم (١) كما أمر بقتل المرتدين [ومعلوم أن كل من أظهر الردة يجب قتله] (٢) (٣) والمنافقون لم يكونوا يظهرون كفرهم ، [فلو كان القذف والسرقة والزنا كفراً لوجب قتل صاحبه إذا لم يتب ، والقرآن لم يأمر إلا بالجلد أو القطع]× والنبي ﷺ قد أمر أصحابه بالصلاة على الغال (٤) ، وعلى قاتل نفسه (٥) ولو كانوا كفاراً أو منافقين لم تجز الصلاة عليهم . فعلم أنهم لم يحبط إيمانهم كله ، [وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال لمن كان مدمن الخمر

---

(١) قال الله تعالى في شأن الزنا ﴿ **الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ ٢ النور .

وقال تعالى في شأن السارق : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ ٣٨ ـ ٣٩ المائدة .

وقال تعالى في شأن القذف ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ ٤ ـ ٥ النور .

(٢) قال صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » أنظر الموطأ ٢ / ٧٣٦ .

(٣) ليس في المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .

× ليس في المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .

(٤) روى زيد بن خالد الجهني قال : توفي رجل من جهينة يوم خيبر فذكر ذلك لرسول الله ص فقال « صلوا على صاحبكم » فتغيرت وجوه القوم ، فلما رأى ما بهم قال : « إن صاحبكم غل من الغنيمة » أخرجه أحمد ٤ / ١١٤ وأبو داود في الجهاد ٢ / ٥٢ والنسائي ٤ / ٥٢ وابن ماجه ٢ / ٩٥٠ وحول خلاف العلماء في هذه المسألة انظر بتوسع المغني لابن قدامة ٣ / ٥٠٤ ـ ٥٠٨ بتحقيق الدكتور عبد الله التركي وزميله .

(٥) روى جابر بن سمرة أن النبي ﷺ جاؤه برجل قتل نفسه بمشقاص ، فلم يصل عليه، رواه مسلم في كتاب الجنائز ٢ / ٦٧٢ والنسائي ٤ / ٥٣ وأحمد في المسند ٥ / ٨٧ وراجع المغنى ٣ / ٥٠٥ حول هذه المسألة .

كلما أتي به إليه حدّه فلعنه رجل فقال]× « لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»(١) وحب الله ورسوله // من أعظم شعب الإيمان . فعلم أن إدمان ١٩٤/ب شرب الخمر لا يذهب جميع الإيمان [وإن أذهب بعضها]× وثبت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة «أنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» (٢) ، ولو كان إيمانهم كله قد حبط لم يكن في قلوبهم شيء منه ولم يخرجوا . وقال تعالى ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾ (٣) فجعلهم من المصطفين [مع ظلمهم لأنفسهم ، فلو كان الذنب يحبط جميع الإيمان لم يكن منهم ظالم لنفسه ، بل كان من غيرهم من الكفار .

والمعتزلة يدّعون أنهم العدلية (٤) فأي عدل في أن تكون سيئة واحدة تحبط حسنات كثيرة أعظم منها وصفاً وقدراً ، وقد ثبت في الصحاح حديث

× ليس في المطبوعة وهو نقص يحيل المعنى .

(١) الحديث في صحيح البخاري كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة ١٢ / ٧٥ ح ٦٧٨٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في صفة جهنم برقم ٢٥٩٦ وقد أخرجه البخاري ومسلم في جملة حديث طويل .

(٣) ٣٢ سورة فاطر .

(٤) مؤسس هذه النحلة الضالة واصل بين عطاء الغزال الذي انعزل من درس الحسن البصري، وقال ببدعة أن الفاسق في منزلة بين المنزلتين وفي الآخرة مخلد في النار . وانضم إليه عمرو بن عبيد . سموا بالقدرية لنفيهم القدر ، ويسمون الوعيدية لقولهم بالوعد والوعيد، ويسمون المعطلة لجحدهم صفات الباري ، ويسمون العدلية ومرادهم بالعدل : نفي القدر وأن الإنسان موجد أفعاله . وتوحيدهم نفي الصفات . أنظر في هذا الملل والنحل للشهرستاني ١ / ٥٢ والفرق بين الفرق ٢٠ ـ ٢١ ، ٩٤ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٩٨ وللمزيد راجع بحث المعتزلة وأصولهم الخمسة للشيخ عواد المعتق فإنه فريد في هذا الباب وكتاب المعتزلة للعبدة وزميله .

أبي ذر « وإن زنى وإن سرق »[(١)] فلو كان الزنا والسرقة كفراً محبطاً لجميع الإيمان لكان التقدير «وإن كفـر »][(٢)] فإذا كانت [السيئات][(٣)] لا تحبط جميع الحسنات، فهل تحبط بقدرها من الحسنات ؟ وهل تحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر ؟

هذا فيه قـولان للمنتسبين إلى السنة[(٤)] . منهم من ينكر الإحبـاط مطلقاً فيقول : ما ثم إحباط لافي الجميع ولا في البعض ، ومنهم من يقول بذلك في البعض ، كـما دلت عليه النصوص ، مـثل قوله ﴿ **لا تبطلوا صدقـاتكم بالمن والأذى**﴾[(٥)] فدل ذلك على أن هذه السيئة تبطل الصدقة. وقـد ضرب مثله بالذي ينـفق مـاله رئاء النـاس ولا يؤمن بالله واليـوم الأخـر . [وجـعل مـثله ﴿**كمثل صفوان عليه تراب فـأصابه وابل فتركه صلداً** ﴾[(٦)][(٧)]] وقالت عائشة « أخبري زيداً أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب»[(٨)] وأما قوله ﴿ **لا ترفعـوا أصواتكم فوق صوت النبي** ﴾ إلى قوله ﴿ **أن تحبط**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ١ / ٩٥ ح ١٥٤ والمسند ٥ / ١٦٦ .

(٢) ليس في المطبوعة . وهو نقص كبير يغير المعنى ويخل بالسياق .

(٣) من المطبوعة .

(٤) أما رأي المعتزلة فجمهورهم على أن الإنسان إذا عبد الله طول حياته ثم ارتكب كبيرة من الكبائر فـإنها تبطل جميع أعماله السابقـة . أما الجبائـي ـ وهو من متأخريهم ـ فـيرى أن الطاعات السابقة على المعاصي يسقط منهـا بمقدار المعاصي ، وتبقى المعاصي على حالها . أنظر تفصيل ضلالتهم في شرح الأصول الخمـسة ٦٢٨ ـ ٦٣٢ وكتاب المعتزلة للدكتور المعتق ص ٢٤٩ .

(٥) ٢٦٤ البقرة .

(٦) ٢٦٤ البقرة .

(٧) ليس في المطبوعة .

(٨) الدراقطني في السنة ٣ / ٥٢ .

أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ [١] وحديث صلاة العصر [٢] . ففيه نزاع [٣] وقال تعالى ﴿ **ولا تبطلوا أعمالكم** ﴾ [٤] قال الحسن : بالمعاصي والكبائر [٥]، وعن عطاء : بالشـرك والنفاق ، وعن ابـن السائب : بالرياء والسـمعـة ، وعن مـقـاتل : بالمن . وذلك أن قـومـا من الأعـراب قـدمـوا على رسـول الله ﷺ وقالوا: أتينـــا طائعين فلنا عليك حق فنزلت هذه الآية . [ونزل قـوله تعالى ﴿ **يمنون عليك أن أسلمـوا** ﴾ [٦]] [٧] فـما ذكـر عن الحـسن يدل على أن المعاصي والكبـائر تحبـط بعـض الأعمـال. فإن قيل لم يرد بذلك إلا إبطالها بالكفــر قيل : الكفـر منهي عنه في نفسه، ومـوجب للخلود الدائم ، فالنهي عنه لا يعبـر عنه بمجـرد ﴿ **لا تبطلــوا أعـمالـكم** ﴾ بل يذكـره عـلى وجـه التـغليظ . كـما في قـوله تعـالى ﴿ **ومن يرتد منكـــم عـن دينه** ﴾ [٨] الآية ونحــوها. والله سبـحـانه في هذه الآية وفي آية المن سماه إبطالاً ولـم يسمه إحباطاً [٩] ، ولهذا ذكـر بعـدها الكفر بقوله ﴿ **إن الذين كفـروا وصدوا عن سبيل الله ثم مـاتوا وهم كفـار فلن يغفـر الله لهم** ﴾ [١٠] فإن قـيل: المراد

---

(١) الآية ٢ سورة الحجرات .

(٢) لفظه « الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » .

(٣) أنظر تفصيل ذلك في رسالة الصلاة لابن القيم .

(٤) ٣٣ سورة محمد .

(٥) أنظر تفسير القرطبي ١٦ / ٢٥٤ .

(٦) ١٧ سورة الحجرات .

(٧) ليس في المطبوعة .

(٨) ٢١٧ سورة البقرة .

(٩) انظر في هذا مجموع الفتاوى للمصنف رحمه الله ١٢ / ٤٨٣ .

(١٠) ٣٤ سورة محمد .

بذلك إذا دخلتم فيها فأتموها ، وبهذا احتج من قال : التطوع يلزم بالشروع // فيه قيل : لو قدر أن الآية تدل على أنه منهي عن إبطال بعض ١٩٥/أ العمل ، فالنهي عن إبطاله كله أولى بدخوله فيها، فكيف وذلك قبل فراغه قد لا يسمى صلاة ولا صوماً [وإنما يسمى بذلك بعد كماله] [١] ثم يقال : الإبطال بالضد يؤثر قبل الفراغ وبعده ، وأما ما ذكروه فهو أمر بالإتمام ، والإبطال هو إبطال الثواب ، ولا نسلم أن من لم يتم الصوم والصلاة يبطل جميع ثوابه ، بل قد يقال : إنه يثاب على ما فعل من ذلك وقد ثبت في الحديث الصحيح حديث المفلس « الذي يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال [٢] وقد قتل هذا، وأخذ مال هذا ، وانتهك عرض هذا ، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته » [٣] الحديث . لكن هذا في حقوق العباد ، يدل على أن الحسنات تؤخذ في المظالم ، فإذا لم يبق حسنة أخذ من سيئات المظلوم فجعلت على الظالم .

وقال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في دم أو مال أو عرض فليأته فليتحلل منه قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار ، إلا الحسنات والسيئات » [٤] وهذا يبين أن المقتول ظلماً يأخذ من حسنات قاتله ، أو يأخذ القاتل من سيئاته فتجعل عليه . وقد قال أحد ابني آدم ﴿ **إني أريد أن**

---

(١) ليس في المطبوعة .

(٢) ما بعده الجملة مخروم من المطبوعة إلى نهاية الرسالة انظر جـ ١٠ / ٦٤٠ والمثبت من النسخة التركية .

(٣) أخرجه مسلم في البر /باب تحريم الظلم ح ٢٥٨١ والترمذي في صفة القيامة ح ٢٤١٨.

(٤) أخرجه البخاري في المظالم ٥ / ٧٣ والترمذي في صفة القيامة ح ٢٤١٩ .

تبـــوء بإثمي وإثمك ﴾ [١] وفيـه قولان مشـهوران : أحدهمـا : تبوء بإثم قـتلي وإثـمك الذي في عنقك . هذا مـأثور عن ابن مـسعـود وابـن عـباس ومجاهد وقتادة والضحاك [٢] والثاني : تبوء بإثمي في خطاياي ، وإثمك في قتلك لي . وهو مروي عن مجاهد . قال ابن جرير : والصحيح عن مجاهد : هو القول الأول [٣] . فعلى الأول : لفظ الإثم مضـاف في الثاني إلى الفاعل . وفي الأول مضاف إلـى المفعول . وعلى الثاني هو مـضاف فيهمـا إلى الفاعل وبعض الناس يقـول : مـا ترك القاتل على المقـتـول من ذنب . وليس المراد أن القاتل يحمل جميع سيئاته ، بل قد رُوي أن القتل كفارة للمقتول .

وعن علي بن الحسين بن علي [٤] أنه بلغه قـتل ابن زياد[٥] وهو يطوف فـساءه ذلك قـال : فـقيل له : ومـا تكره من ذلك ؟ قـال : لأن القـتل كفـارة المقتول .

والذي عليه الحديث : أنه إن كانت له حسنات أخذت منه، وإلا جعلت من سيـئات المظلوم عليـه ولهذا يبوء بـإثم المظلوم . ولكن ليس فيـه أن يحمل جميع سـيئات المظلوم، وقد يكون المقتـول ظلماً عليه أوزار كبيـرة ، وقد قتل

(١) الآية ٢٩ سورة المائدة .

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٨١ طبع كتاب الشعب .

(٣) انظره في تفسير ابن جرير ٦ / ١٩٣ .

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ولد سنة ثمان وثلاثين ظناً ، وكان ثـقة مـأموناً . مـات سنة ٩٤ هـ سيـر أعلام النبـلاء ٤ / ٣٨٦ والبداية والنهـاية ٩ / ١٠٣.

(٥) ابن زياد : هو عبيـد الله بن زياد بن أبيه أمير العـراق ، جميل الصورة قبـيح السريرة هكذا وصـفه الذهبي . سـفك الدماء وقـتل سنة ٦٧ هـ السير ٣ / ٥٤٥ وشـذرات الذهب ١ / ٧٤.

نفوساً فلا يكون إثم قتله بقدر إثم من قتلهم كلهم ، لكن قد يقال في القصة المعينة لم يكن على المقتول من السيئات أعظم من سيئة قتله ، فإن قتله أعظم الذنوب بعد الكفر ، وهو أول مقتول قتل على وجه الأرض . وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل» [١] فهذا الإثم الذي حصل بقتل المظلوم عظيم جدا لم تكن على المظلوم سيئات مثله. وحينئذ فالقاتل يبوء بالسيئات التي كانت على المقتول مع سيئات نفسه .

وكان مثل هذا القاتل ما ترك على المقتول المظلوم // من ذنب . وكذلك ١٩٥/ب لو كان لهذا القاتل حسنات لأخذ المقتول المظلوم منها حقه . وهذا لأنه إذا كان كافرا لم تكن له حسنة[٢].

وقد اختلف الناس في القاتل قابيل : هل كان كافراً أو فاسقاً غير كافر ؟ على قولين [٣] . وقد قال سبحانه ﴿**فأصبح [من الخاسرين]**﴾[٤] قال ابن عباس من الخاسرين في الدنيا والآخرة . فخسران الدنيا : أنه أسخط والديه ، وبقى بلا أخ . وخسرانه في الآخرة : أنه أسخط ربه وصار إلى النار.

---

(١) البخاري في كتاب الديات ١٢/١٩١ح ٦٨٦٧ وصحيح مسلم كتاب القسامة ١٦٧٧.

(٢) قال تعالى : ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** ﴾ الفرقان .

(٣) راجع بسط في تفسير القرطبي ٦/١٣٦ .

(٤) ٣٠ المائدة .

قال الزجاج : أصبح من الحسنات خاسراً . وقال أبو يعلى: من الخاسرين أنفسهم بإهلاكهم إياها ، والخاسر الذي خسر ما كان له ، وهذا يدل على ذهاب حسناته إما بالكفر وإما بالقصاص .

وقد ذكر الله سبحانه وزن الحسنات والسيئات في عدة آيات فقال تعالى ﴿ **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ [١] الآية ونحوها .

مثل الآية التي في آخر المؤمنين[٢]، والتي في سورة الأنبياء[٣] والتي في سورة القارعة[٤] . وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[٥] وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وغيره :

---

(١) ٨ الأعراف .

(٢) قال تعالى ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون** ﴾ ١٠٢ ـ ١٠٣ المؤمنون .

(٣) قال تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ ٤٧ الأنبياء .

(٤) قال تعالى ﴿ **فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية** ﴾ ٧ القارعة .

(٥) البخاري في الدعوات ١١ / ٢٠٦ وفي التوحيد ١٣ / ٥٣٧ ومسلم ٢٦٩٤ وأحمد ٢ / ٢٣٢ وابن أبي شيبة في المصنف ١٠ / ٢٨٨ والترمذي ٣٤٦٧ والنسائي في عمل اليوم والليلة ٨٣٠ وابن ماجة ٣٨٠٦ . وممن أفرد لهذا الحديث شرحاً مستقلاً العلامة الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في كتابه « التنقيح في حديث التسبيح » حققه الشيخ محمد بن ناصر العجمي وطبع ١٤١٣ هـ .

فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات [١] .

والموزون سواء كانت هي الصحائف أوالأعمال : تجعل أجساماً ، كما يجيء ثواب سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف[٢] ويجيء ثواب القرآن في صورة الرجل الشاحب فيقول : أنا الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك [٣] ، وكما في حديث القبر إنه يأتيه عمله الصالح في صورة شاب حسن الوجه ، وعمله السيء في صورة قبيحة [٤] ، وكذلك إتيان الموت يوم القيامة في صورة كبش أملح [٥] وغير ذلك. والناس لهم قولان في قلب الأعراض أجساماً [٦] : منهم من يجوز ذلك ، فيكون نفس العمل قلب عيناً قائمة بنفسها . ومنهم من لا يجوزه فيقول : جُعِل منه .ومن هذا الباب صعود الأعمال ، إلى الله سبحانه [٧] ،

(١) أحمد في المسند ٢ / ٢١٣ بسند حسن ، والترمذي في الإيمان ٧ / ٢٩٥ ح ٢٦٤١ ورجاله ثقات . وابن ماجة ٢ / ١٤٣٧ ح ٤٣١١ في الزهد .

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين ح ٨٠٤ و ٨٠٥ وأحمد ٥ / ٢٤٩ / ٢٥١ / ٢٥٥ / ٢٥٧ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٥ / ٣٤٨ / ٣٥٢ وابن ماجة في الأدب ح ٣٧٨١ .

(٤) أحمد ٤ / ٢٨٧ وأبو داود في السنة ٥ / ١١٤ ح ٤٧٥٣ .

(٥) صحيح البخاري كتاب التفسير ٨ / ٤٢٨ ح ٤٧٣٠ ومسند أحمد ٢ / ٣٧٧ .

(٦) يقول ابن القيم رحمه الله « والله ينشيء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها ، وينشيء من الأجسام أعراضاً ، كما ينشيء سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً والأقسام الأربعة ممكنة ومقدورة للرب تعالى . » التفسير القيم ص ٣٥٤ وانظر قدر الدعوة لرفاعي سرور ص ٢١ .

(٧) قال تعالى ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ فاطر آية ١٠ وورد في السنة قوله ﷺ « .. يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل » صحيح مسلم كتاب الإيمان ١ / ١٦١ .

فإنه تصعد الصحف ، وكذلك جاءت الآثار بصعود صور الأعمال كما في الحديث : أن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله دوياً حول العرش يذكرن بصاحبهن وهو في السنن [١] . وكذلك قوله ﴿ **يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً** ﴾ [٢] وكذلك قوله ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضراً** ﴾[٣] وقوله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ [٤] ويدل عليه الحديث الذي في الصحيحين « ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع .. » [٥] الحديث . وهو تأويل قوله ﴿**سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** ﴾ [٦] وقوله ﴿**يوم يحمى عليها في نار جهنم** ﴾ [٧] الآية . لكن هذه أجسام . وقد قال تعالى ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ،**

---

(١) ابن ماجة في الأدب ح ٣٨٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ١٠ / ٢٨٩ والحاكم في المستدرك ١ / ٥٠٠ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه لكن تعقبه الذهبي بأن في السند منكر الحديث ، والطبراني في الدعاء ح ١٦٩٣ .

(٢) آل عمران / ٣٠ .

(٣) ٤٩ الكهف .

(٤) ٧ ـ ٨ الزلزلة .

(٥) البخاري في التفسير ٨ / ٣٢٢ ح ٤٦٥٩ ومسلم في الزكاة ح ٩٨٧ وأبو داود في الزكاة ح ١٦٥٨ والنسائي في الزكاة ٥ / ١٢ ـ ١٤ .

(٦) ١٨٠ آل عمران .

(٧) الآية ٣٥ التوبة .

وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ [١] الآية . // وقال تعالى ١٩٦/أ ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ [٢] الآية . وقال تعالى ﴿ **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون** ﴾ [٣] .

قال السدي [٤] وعمرو بن قيس الملائي [٥] : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة ، أو أطيبه ريحاً ، فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا . إلا أن الله قد طيب ريحك وحسّن صورتك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا . أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وقرأ ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا**﴾ [٦] أي ركباناً ، وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورةً ، وأنتنه ريحاً فيقول : هل تعرفني ؟ فيقول : لا . إلا أن الله قد قبح صورتك ونتن ريحك ، فيقول : كذلك كنت في الدنيا فأنا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم وكذلك قوله ﴿ **وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم** ﴾ [٧] الآية وقال تعالى :

---

(١) ١٢ ـ ١٣ العنكبوت .

(٢) ٢٥ النحل .

(٣) ٣١ الأنعام .

(٤) **السدي:** إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال صدوق يهم ، رمي بالتشيع . مات سنة ١٢٧ هـ تهذيب التهذيب ١ / ٣١٣.

(٥) **عمرو بن قيس الملائي** : الكوفي البزاز . الحافظ ثقة مأمون . مشاهير علماء الأمصار ١٦٧ وسير أعلام النبلاء ٦ / ٢٥٠ .

(٦) الآية ٨٥ مريم وأخرجه ابن كثير في تفسيره ٥ / ٢٥٨ معزواً لابن أبي حاتم والقرطبي في تفسيره ١١ / ١٥١ . .

(٧) ٣١ الأنعام .

﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ [١] وقال تعالى ﴿ **نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم** ﴾ [٢] وفي الآية الأخرى ﴿ **يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ...** ﴾ [٣] الآية قال ابن مسعود : منهم من نوره مثل الجبل، وأدناهم نوراً نوره على قدر إبهامه يطفىء مرة ويتقد أخرى ، وفي لفظ عنه « يعطون نوراً على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوراً كالنخلة ، وكالرجل القائم ، وأدناهم على إبهامه فيطفىء مرة ويتقد أخرى » [٤] .

وقال قتادة : ذكر لنا أن النبي ﷺ قال [٥] « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن وصنعاء فدون ذلك ، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه » . ومعلوم أن النور الذي يسعى بين أيديهم أعيان قائمة بنفسها ليست أعراضاً قائمة بهم ، والنور الذي يضيء لابد أن يكون عيناً قائمة بنفسها ليست أعراضاً ، وضوءه ينتشر ، ولهذا قال من قال : الموزون في الميزان جواهر مضيئة ، وهي الحسنات ، وجواهر مظلمة وهي السيئات .

وفيها قول ثالث : أن الله يجعل في كل من الكفتين علامة على قدر

---

(١) ١٣ الإسراء .
(٢) ١٢ سورة الحديد .
(٣) ٨ سورة التحريم .
(٤) عبد الرزاق ٢ / ٢٧٥ والحاكم في المستدرك ٢ / ٤٧٨ قال الذهبي على شرط البخاري وابن جرير في تفسيره ٢٧ / ٢٢٣ والبغوي في تفسيره ٨ / ٣٤ .
(٥) ابن جرير في تفسيره ٢٧ / ٢٢٢ .

الثقل والخفة ،وقد ضرب الله مثل الإيمان بنور مشكاة [١] . ومثل الكفر بظلمات بعضها فوق بعض [٢] ،فالدلائل الكثيرة تدل على أن الأعمال التي هي أعراض تصور صوراً قائمة بنفسها تُحمل أو تحمل أصحابها ، وتوزن وتمشي أمام أصحابها [٣]، وتخاطب أصحابها وتؤنسهم، ولبسط هذا موضع آخر .

فإن المقصود أنه نطق الكتاب والسنة وأقوال السلف بوزن الحسنات والسيئات : دل على قول من قال بذهاب بعض الحسنات بالسيئات كما يذهب بعض السيئات بالحسنات ، وعن ابن عباس « توزن الحسنات

---

(١) قال الله تعالى ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري ...** ﴾ الآية ٣٥ النور .

(٢) قال الله تعالى ﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها** ﴾ ٤٠ النور.

(٣) فائدة : يقول الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله : والقول في الموزون على أوجه :

الأول : أن الأعمال نفسها هي التي توزن ، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان والدليل عليه حديث أبي هريرة « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن .. » الحديث ودلل عليه بعدة نصوص .

الثاني : أن صحائف الأعمال هي التي توزن ودليله حديث البطاقة .

الثالث : أن الموزون ثواب العمل .

الرابع : أن الموزون هو العامل نفسه . ودليله « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » رواه البخاري في تفسير سورة الكهف ٨ / ٤٢٦ ومسلم ح ٢٧٨٥ قال الشيخ حافظ [والذي استظهر من النصوص ــ والله أعلم ــ أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن ؛ لأن الأحاديث التي وردت في بيان القرآن قد وردت بكل ذلك ولا منافاة بينها] انظر معارج القبول ٢ / ٨٤٥ ــ ٨٤٩ تحقيق عمر أبو عمر .

والسيئات في ميزان له كـفـتان فـأما المؤمـن فيـؤتى بعـمله في أحسن صـورة فيوضع في كفـة الميزان ، ـ وهو الحق ـ فتثقل حسناته على سيـئاته ، فيوضع عمله في الجنة فيـعرفها بعـمله فذلك قوله ﴿ **فمن ثقلت مـوازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ (١) أي الناجون وهم أعرف بمنازلهم في الجنة // إذا انصرفوا إليها ١٩٦/ب من أهل الجمـعة إذا انصـرفوا إلى منازلهم ، وأمـا الكفار فـيؤتى بأعمـالهم في أقبح صورة فتـوضع في كفة الميزان وهي الباطل فـيخف وزنه حتى يقـــع في النار ثم يقـــال له : الحق بعملك (٢) .

وهو سبـحـانه ذكـر من ثقلت مـوازينه فـدخل الجنة (٣) ، ومن خـفـت موازينه فدخل [النار] × على طريقة القرآن في ذكر أهل الوعد المحض ، وأهل الوعيـد المحض ، كـمـا قال أبو بـكر الصـديق : إن لله عـمـلاً بالليل لا يقـبله بالنهار، وعمـلاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنما ثقلت مـوازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم ، وحُق لميزانٍ يوضع فيه الحق أن يكون ثقـيلاً ، وإنما خـفـت موازين من خـفـت موازينـه يوم القيـامة باتبـاعـهم البـاطل وخفته عليهم ، وحُق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً (٤) .

وأما من كـان داخلاً في الوعد والوعـيد : فمـذهب الصحـابة والتابعين

---

(١) الآية ١٠٢ المؤمنون .

(٢) القرطبي في تفسيره ٧ / ١٦٦ .

(٣) أنظر آية ٦ ــ ١١ سورة القارعة .

× ليست في المخطوطة

(٤) ابن أبي شيبة في المصنف ١٤ / ٥٧٢ وابن جرير في تهذيب الآثار ٢ / ٩٢٥ وابن سعد في الطبقـات ٣ / ٢٧٤ وأخرج هذه الوصية ابن زبر الربعي في وصـايا العلماء ص ٣٢ ــ ٣٥ وذكر المحقق أن في إسنادها ضعف .

وأهل السنة والجماعة أنه يستحق الثواب والعقاب جميعاً ، فإذا عذبه الله بذنبه ما شاء أن يعذبه ، أخرج بعد ذلك من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان (١) .

ومذهب الخوارج والمعتزلة : يأثم إلا مستحق للوعد فقط، منعم لا يعذب أو مستحق للوعيد فقط معذب لا ينعم . وقد بسطنا القول عليهم في غير هذا الموضع (٢) .

ولهذا قالوا بالإحباط المطلق الذي لا يبقى معه حسنة . وإذا كانت النصوص وإجماع السلف دل على أن من الناس من ينعم ويعذب ، وأن فيه بعض الإيمان فهذا إذا كانت له حسنات كثيرة وسيئات كثيرة ، يكون سيئاته أبطلتْ بقدرها من حسناته ، وإذا ترجحت سيئاته دخل النار ، ولا يلزم من رجحان السيئات أن تكون الحسنات قد بطلت حتى يصير لا حسنة له بحال كالكفار ، فإن الموزون هي الأعمال المصورة ، وصحفها تدل على أن له حسنات وسيئات ، وأما من لا حسنة له بحال فذاك ميزانه خفيفة ، خفة مطلقة ليس فيها شيء من الحسنات التي تثقل بها ، فإن الخفة والثقل إنما هو في الحسنات ، والتي يفلح صاحبها إذا ثقلت كفتها ، ويخسر إذا خفت ، فإذا قدر حسنات محضة ليس بإزائها سيئات فهذه في غاية الثقل ، وإذا قدر

---

(١) يدل عليه قوله ص في حديث الشفاعة الطويل « فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان » البخاري في التوحيد باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ١٣ / ٤٧٣ ح ٧٥١٠ ومسلم في الإيمان ح ٣٢٦ وأحمد ٣ /١١٦.

(٢) ذكر ذلك في كتابه القيم « الإيمان » فليراجع .

سيئات محضة ليس بإزائها حسنات فهذه في غاية الخفة . وقال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر رضي الله عنهما :

واعلم أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم باتباعهم الحق ، وثقل ذلك عليهم ، وحُق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم وحُق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً .

والوزن على وجهين : أحدهما : أن يوضع بإزاء الحسنات والسيئات ما يعرف مقدارها ، ثقلها وخفتها ، كما توزن الأموال ، ثم ينظر بعد هذا في مقادير الموزونات وتعادلها وتفاضلها [1] .

والثاني : أن يوزن أحدهما بالآخر كما يوزن دراهم زيد // ١٩٧/أ بدراهم عمرو ، وإذا بيع أحدهما بالآخر مثلاً بمثل ، فهذا الوزن الذي يدل عليه حديث البطاقة حيث قيل فيه ، فتوضع البطاقة في كفة ، والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات [2] ، ووصف الميزان بالثقل

---

(١) قال الشوكاني رحمه الله « اختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن الكائن في هذااليوم ـ يريدون يوم القيامة ـ فقيل المراد به وزن صحائف الأعمال بالميزان وزناً حقيقياً وهذا هو الصحيح . وهو الذي قامت عليه الأدلة » .

وقيل : توزن نفس الأعمال وإن كانت أعراضاً ، فإن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً كما جاء في الخبر الصحيح « إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف » فتح القدير ٢ / ٢٦٩ تحقيق سيد إبراهيم .

(٢) تقدم تخريجه .

والخفة مطلقاً من غير وصف بالثقل بأنه الحسنات ولا وصف رجحان هذا الموزون على هذا الموزون دل على أن الحسنات لها ثقل .

وأما السيئات فلا ثقل لها أصلاً ، فإذا لم يوضع في الميزان إلاالسيئات لم يكن لها ثقل بل تكون خفيفة خفة مطلقة، وإنما يكون ثقل إذا كان فيها حسنات ، والحسنات نور مصور ، والسيئات ظلمة . ولهذا قال الصديق : وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ، فالكافر الذي ليس له إلا السيئات يكون ميزانه خفيفاً خفة مطلقة . وأما المسلم الذي له حسنات وسيئات ، وسيئاته أكثر فيخف ميزانه لما يوزن فيه من السيئات الزائدة ، وهذا هو الذي يعذب ثم يخرج من النار.

والميزان يوصف تارة بالثقل والخفة ، وتارة برجحان أحد الجانبين على الآخر ، وهذا إنما يكون فيما إذا اشترك المتقابلان في الثقل واختص أحدهما بمزيد ثقل ، كالموزونات بميزان الكفتين فإنه يكون في أحدهما ماله ثقل وفي الأخرى ماله ثقل . فإما أن يتساويا، أو يرجح أحدهما على الآخر . وهذا كما في الحديث « رأيت كأني جُعلت في كفة والأمة في كفة فرجحت بالأمة ، ثم جُعل أبو بكر في كفة والأمة في كفة فرجح أبو بكر ، ثم ذكر مثل ذلك في عمر » [1] .

---

(١) أبو داود في السنة ح ٤٦٣٤ بلفظ من رأى منكم رؤيا فقال رجل أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر . والترمذي في الرؤيا ح ٢٢٨٨ وأحمد ٢ / ٧٦ و ٥ / ٤٤ والنسائي في فضائل الصحابة ح ٣٣ .

فإذا وزن حسـنات شخصين ، قيل حسنات أحدهما أرجح ، ، كذلك لو وزن ثواب عملين قيل ثواب هذا العمل أرجح ، والله تعالى لم يصف الموازين بالرجحان وإنما وصفها بالخفة والثقل ، فالحسنات لها ثقل ، وأما السيئات فلا ثقل لها أصلاً ، فإذا وزنت الحسنات بالسيئات لم يكن أن يثقل جانب السيئات على ما في الميزان ، لأنه كان يكون الثقيل مذموماً ، والقرآن لم يجعل الثقل إلا محموداً . ولم يقل في القرآن فمن رجحت حسناته ومن رجحت سيئاته بل قال ﴿ **فمن ثقلت موازينه** ﴾ ، ﴿ **ومن خفت موازينه** ﴾ فدل ذلك على أن من لا حسنة له لا يقام له وزن . قال تعالى ﴿ **قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ [1] فهؤلاء أحبط الله أعمالهم مطلقاً فلم يبق لهم حسنة ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ وعن أبي سعيدالخدري : « يأتي ناس يوم القيامة بأعمال هي عندهم في العظم كجبال تهامة ، فإذا وزنوها لم تزن شيئا »[2] وفي الحديث عن النبي ﷺ « يؤتي بالرجل السمين العظيم فلا يزن عند الله قشر شعيرة، أولئك دفع الملك منهم سبعين ألفاً // في النار »[3] وفي ١٩٧/ب حديث أنه نظر إلى ساقي ابن مسعود وحموشتهما فقال « لهما في الميزان

---

(١) ١٠٣ ـ ١٠٥ الكهف .

(٢) أورده القرطبي في تفسيره ١١ / ٦٦ .

(٣) أصله في الصحيحين بلفظ « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرأوا ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ البخاري في تفسير سورة الكهف ٨ / ٤٢٦ ح ٤٧٢٩ ومسلم في صفة المنافقين ح ٢٧٨٥ .

أثقل من أحد » (١) وهذا فيه إعادة الوزن إلى نفس الرجال . وقيل في الآية : لا يكون عندنا وزن ولا مقدار ، وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان يوضع لمن له حسنات وسيئات من الموحدين .

فهؤلاء قد أخبر الله تعالى في موضع آخر أنهم خفت موازينهم، وأنهم في جهنم خالدون ﴿ **تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ (٢) وخفتها بأنها لم يكن فيها ماله وزن وثقل، وقد وصف سبحانه الخير والشر بالثقل في قوله ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ (٣) فأخبر أن الخير والشر يكون مثقال ذرة ، وحينئذ فإذا وزن هذا بهذا رجح أحدهما على صاحبه ، فهذا وزن الحسنات بالسيئات كما في حديث البطاقة (٤) ، فهذا لا يكون إلا لمن له حسنة توزن .

والكافر (٥) المحض قد ضل عمله ، لم يبق له حسنة توزن ، فإن عمله كله سيئات ، بل هذا لا يقيم الله له وزنا ، وإن كانوا يظنونها حسنات . كما قال أبو سعيد . وقال أبو الدرداء : لا تحقرن شيئاً من الخير أن تعمله ، فإنك إذا رأيته في ميزانك سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئاً من الشر أن تجتنبه فإنك إذا رأيته في ميزانك ساءك مكانه (٦) . قال تعالى ﴿ **والذين كفروا أعمالهم**

---

(١) مسند أحمد ١ / ٤٢٠ و ٥ / ١٣١ .

(٢) الآية ١٠٤ المؤمنون .

(٣) ٧ ـ ٨ الزلزلة .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) في الأصل : الكفار .

(٦) تخريجه : لم أجده .

كسراب بقيعة ﴾ (١) الاية . وقال تعالى ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف** ﴾ (٢) الآية فهؤلاء لا تخف موازينهم خفة مطلقة إذ ليس فيها ما يثقل به ، فإنها لا تثقل إلا بالحق ، وهؤلاء ليس معهم إلا الباطل ، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، وهؤلاء وزن أعمالهم مقابلها بما فيها من خير أو شر ، وهل كانت خالصة لله أم لا ؟ وهل وافقت أمره أم لا ؟ فتوزن بما يبين جنسها وقدرها وصفتها هل فيها حق يستحق صاحبه الثواب أم لا ؟ كمن قيل : إن عليه حقوقاً ، فقيل : هات ما أحضرت حتى نزنه وننقده ، فصار كلما أظهر شيئاً ظهر أنه رديء حتى لم يظهر شيء يحسب له ، ولهذا قال من قال من العلماء: إن الكفار لا يحاسبون. أي لا يحاسبون محاسبة تظهر فيها حسناتهم بسيئاتهم ، بل يحاسبون بمعنى أنهم تعد أعمالهم وتحصى، وتلك كلما وضعت في الميزان خف بها الميزان ، وهذاالميزان لا نظير له في موازين الدنيا ، فليس لنا ميزان يخف بما يوضع فيه من الأجسام كانت ما كانت ولهذا قال من قال : المراد بالموازين : العدل . وقيل في تفسير قوله تعالى ﴿ **والوزن يومئذ الحق** ﴾ (٣) قال مجاهد : والقضاء يومئذ العدل . وقال من قال لكل شيء ميزان بحسبه ، فالمواقيت لها موازين ، والممسوحات لها موازين والمكيلات لها موازين ، ونهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى توزن (٤) أي

---

(١) ٣٩ / النور . (٢) ١٨ / إبراهيم .

(٣) الآية ٨ سورة الأعراف .

(٤) « نهى النبي ﷺ عن بيع الطعام حتى يجري فيه الصاعان ، صاع البائع ، وصاع المشتري » رواه ابن ماجه في التجارات ٢ / ٧٥٠ والبيهقي في الكبير ٥ / ٣١٦ والدراقطني ٣ / ٨ وانظر المغنى ٦ / ١٨٧ .

تخرص ويعرف قدرها ووازنت بين الشيئين موازنة ووزاناً ، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان يحاذيه ، وهو وزن الجبل أي ناحية منه . وزنة الجبل أي حِذاه ، وقد قـال تعـالى ﴿**الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**﴾ [١] // وقد قال جمهور المفسرين إنه العدل ، وقيل ما يوزن به وهو أعم مما ١٩٨/أ يوزن به الأجسام الثقيلة والخفيفة وقد قال تعالى ﴿ **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً** ﴾ [٢] وقال النبي ﷺ « أنا تارك فيكم الثقلين : أحدهم أعظم من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[٣] فسمي القرآن ثقلاً ، وقال تعالى ﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها**﴾ [٤] ويقال : أعطه ثقله . أي وزنه . والثقلان : الجن والإنس . ومثقال الشيء : ميزانه من مثله .

والمقصود هنا : أن المسلم الذي وزنت حسناته وسيئاته إما جميعاً في ميزان كما في حديث البطاقة ، وإما بأن عرف قدر حسناته وقدر سيئاته ، عدل أحدهما بالآخر فوجدت سيئاته راجحة فهذا مستحق العذاب لسيئاته الراجحة ، فيعذب بها في النار بقدر ما يستحق ، ثم يخرج بتلك الحسنات المرجوحة ولو لم يكن فيها إلا مثقال ذرة ، فبذلك المثقال يخرج من النار ، ولا يخلد فيها ، وليس هو كالذي ليس له حسنات بحال الذين حبطت أعمالهم كلها فلا يقام لهم يوم القيامة وزن ، وبهذا يحصل الجواب عن رجحان السيئات والخروج من النار .

---

(١) الآية ١٧ سورة الشورى . (٢) الآية ٥ سورة المزمل .

(٣) انظر المسند ٣ / ١٤ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٥٩ و ٥ / ١٨١ والترمذي في المناقب ٥ / ٦٦٢ ح ٣٧٨٦ و ح ٣٧٨٨ وقال : حسن غريب .

(٤) الآية ٢ سورة الزلزلة .

فإن هذا أشكل على طائفة اعتقدوا أنه إذا رجحت السيئات لم يبق للحسنات أثر أصلاً ، بل يبقى وجودها كعدمها ، وحينئذ فهذا إذا دخل النار لم يبق معه شيء من الإيمان يخرج به . فلهذا قال بعضهم : الإيمان ليس مما يوزن بالسيئات ، وقد تقدم الجواز والله أعلم . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آجمعين وسلم تسليماً .



فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهـرس المصـادر والمراجـع

ـ القرآن الكريم .

ـ إثبات عذاب القبر للحافظ أبي بكر البيهقي / تحقيق الدكتور شرف القضاة سنة ١٤٠٣ هـ دار الفرقان / الأردن .

ـ الأسماء والصفات للحافظ أبي بكر أحمدبن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) تحقيق عبد الله الحاشدي الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ الناشر مكتبة السوادي بجدة .

ـ الأسماء والصفات للدكتور عمر الأشقر / الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ دار النفائس / الأردن .

ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) / تحقيق محمد حامد الفقي / تصوير دار المعرفة بيروت.

ـ أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية / محمد بن إبراهيم الشيباني / الأولى سنة ١٤٠٩ هـ مكتبة ابن تيمية بالكويت .

ـ بدائع الفوائد / لابن القيم / إدارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

ـ البداية والنهاية / للحافظ اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ط ١٩٦٦ م مكتبة المعارف بيروت .

ـ تاريخ بغداد / لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي / تصوير المكتبة السلفية بالمدينة .

ـ تأويل مشكل القرآن / لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق السيد أحمد صقر الطبعة الثانية سنة ١٣٩٣ هـ دار التراث بالقاهرة .

ـ التفسير القيم / للحافظ ابن القيم / جمع محمد أويس الندوي / تحقيق محمد حامد الفقي / لجنة التراث بيروت .

ـ تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير / تحقيق غنيم وعاشور والبنا / مطبعة الشعب .

ـ تهذيب الأثار / لابن جرير الطبري / تحقيق محمود شاكر / الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

ـ تهذيب التهذيب / أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الأولى سنة ١٣٢٦ هـ حيدر أباد تصوير دار صادر / بيروت .

ـ تهذيب الكمال / للحافظ المزي / مخطوط .

ـ جامع الأصول / مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق / عبد القادر الأرناؤوط / الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ مكتبة الحلواني بيروت .

ـ جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) الثالثة سنة ١٣٨٨ هـ مصطفى الحلبي .

ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) تحقيق أبو إسحاق اطفيش / ط سنة ١٣٨٧ دار الكتاب العربي بالقاهرة .

ـ الجرح والتعديل / لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي / الأولى سنة ١٣٧٢ هـ تصوير المكتبة العلمية بيروت .

ـ حلية الأولياء / للحافظ أبي نعيم الأصفهاني / المكتبة السلفية .

ـ الدر المأثور في التفسير بالمأثور / للحافظ السيوطي / الطبعة الجديدة سنة ١٤٠٣ هـ دار الفكر بيروت .

ـ الدعاء / للحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق الدكتور محمد سعيد البخاري / الأولى سنة ١٤٠٧هـ دار البشائر الإسلامية بيروت .

ـ ذيل طبقات الحنابلة / للحافظ ابن رجب / تحقيق محمد حامد الفقي / تصوير دار المعرفة بيروت .

ـ الروح للحافظ ابن القيم / تحقيق عبد الفتاح محمود عمر / الثانية ١٩٨٦ م عمان / الأردن .

ـ السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل/ تحقيق محمد القحطاني / الثانية / دار الموتمن .

ـ سنن أبي داود / سليمان بن الأشعث السجستاني / تحقيق عزت الدعاس الطبعة الأولى سنة ١٣٩١ هـ الناشر محمد علي السيد / سوريا .

ـ سنن الترمـذي / محمـد بن عيسى / تحـقيق أحمد شـاكر / تصوير إحـياء التراث .

ـ سنن الدراقطـني / علي بن عـمـر الدراقـطني / نشـر عـبـد اللـه هاشم سنة ١٣٨٦ هـ المدينة المنورة .

ـ السنن الكبرى / للبيهقي / تصوير دار الفكر بيروت.

ـ سنن ابن ماجة / محـمد بن يزيد القزويني / تحقيق محمد فـؤاد عبد الباقي سنة ١٣٩٥ هـ دارر إحياء التراث العربي بيروت .

ـ سنن النسائي / أبو عبد الرحمن أحمـد بن شعيب النسائي / الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ تصوير دار الفكر .

ـ سيـر أعلام النبـلاء / للإمام محـمد بن أحـمد الذهبي / تحـقيق الأرناؤوط وجماعة معه / الأولى ١٤٠٢هـ مؤسسة الرسالة بيروت .

ـ السيرة النبويةالصحيحة / د . أكرم العمري / الأولى ١٤١١ هـ / قطر .

ـ شذرات الذهب فـي أخبار من ذهب / عـبد الحي بن العمـاد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ) دار الافاق الجديدة .

ـ شرح السنة / للبربهاري / تحقيق : محمد القحطاني / الثانية . دار المؤتمن.

ـ صحيح البـخاري / للإمام محـمد بن إسماعيل البـخاري / تحقيق مـحمد فؤاد عـبد البـاقي / الأولى سنة ١٣٨٠ هـ المطبوع مع شـرحه فـتح الباري بالدار السلفية بالقاهرة

ـ صحيح الجامع الصغير / للشـيخ محمد ناصر الدين الألباني / الأولى سنة

١٣٨٨ هـ المكتب الإسلامي .

ـ صحيح مسلم / للإمام مسلم بن الحجاج القشيري / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / الأولى سنة ١٣٧٤ هـ دار إحياء الكتب القاهرة .

ـ طبقات الحفاظ / للسيوطي / تحقيق علي محمد عمر / الأولى ١٣٩٣ هـ مكتبة وهبة بالقاهرة .

ـ الطبقات الكبرى / للإمام محمد بن سعد / دار صادر / بيروت .

ـ العبودية / لشيخ الإسلام ابن تيمية / الرابعة ١٣٩٧ هـ المكتب الإسلامي.

ـ العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية / للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤ هـ) دار الكتب العلمية .

ـ عمل اليوم والليلة / للحافظ النسائي / تحقيق فاروق حمادة / الثانية ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة .

ـ غريب الحديث / للحافظ ابن الأثير / االمشهور بالنهاية / تحقيق الدكتور محمود الطناحي ط ١٣٩٩ هـ دار الفكر .

ـ فتح القدير / للإمام محمد بن علي الشوكاني / تحقيق سيد إبراهيم / الأولى ١٤١٣ هـ دار الحديث القاهرة .

ـ الفوائد / للحافظ ابن القيم / الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ تعليق صابر يوسف / مكتبة الجامعة بالقاهرة .

ـ فضائل الصحابة / للإمام النسائي / تحقيق فاروق حمادة / الأولى ١٤٠٤ هـ دار الثقافة بالمغرب .

ـ قدر الدعوة / رفاعي سرور / ط ١٤١٢ هـ دارالحرمين / بالقاهرة .

ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / جمع عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد / مطبعة الحكومة سنة ١٣٨١ هـ الرياض .

ـ مدارج السالكين لابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي / الأولى سنة ١٣٧٥ هـ مطبعة أنصار السنة بالقاهرة .

ـ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث / للحافظ أبي موسى الأصفهاني تحقيق عبد الكريم العزباوي / الأولى ١٤٠٦ هـ جامعة أم القرى .

ـ المستدرك للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري طبعة ١٣٩٨ هـ دار الفكر بيروت .

ـ المسند / للإمام أحمد بن حنبل / طبع زهير الشاويش ١٤٠١ هـ .

ـ مشاهير علماء الأمصار / محمد بن حبان البستي / تصحيح فلايشهمر / دار الكتب العلمية .

ـ المصنف / للإمام عبد الرازق بن همام الصنعاني / تحقيق الأعظمي / الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ المكتب الإسلامي .

ـ المصنف في الأحاديث والآثار / عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة / الدار السلفية بالهند .

ـ معارج القبول / للشيخ حافظ الحكمي / تحقيق عمر أبو عمر / الأولى / الناشر دار ابن القيم بالدمام .

ـ معالم التنزيل (تفسير البغوي) تحقيق النمر وضمرية والحرش / دار طيبة ١٤٠٩ هـ .

ـ معالم في السلوك وتزكية النفوس / عبد العزيز آل عبد اللطيف / الأولى ١٤١٤ هـ دار الوطن بالرياض .

ـ المعتزلة وأصولهم الخمس / د . عواد المعتق / الأولى ١٤٠٩ هـ دار العاصمة بالرياض .

ـ المعتزلة / محمد العبدة وزميله / دار الأرقم / بريطانيا

ـ المعجم الكبير / لأبي القاسم الطبراني / تحقيق حمدي السلفي / الثانية ١٤٠٤ هـ .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي / لفيف من المستشرقين / الأولى ١٩٣٦ م / ليدن .

ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي .

ـ المغني / للإمام ابن قدامة المقدسي / تحقيق الدكتور التركي وزميله / دار هجر / الطبعة الأولى .

ـ مفتاح دار السعادة / للحافظ ابن القيم .

ـ مقالات الإسلاميين / أبو الحسن الأشعري / تحقيق محي الدين عبد الحميد / الثانية ١٣٨٩ هـ مكتبة النهضة .

ـ الموطأ / للإمام مالك بن أنس / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار

إحياء التراث بيروت .

ـ وصـايا العلماء للإمـام ابن زبر الربعي تحقـيق الخيـمي / ١٤٠٩هـ دار ابن كثير .

ـ وفيات الأعيان / أحمد بن محمد بن خلكان / تحقيق إحسان عباس / دار صادر ١٣٩٨ هـ .

الفهــــرس

الموضـــــوع الصفحـة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين وسلم تسليما فصل
في تزكية النفس وكيف تزكو بترك المحرمات مع فعل المامورات قال الله تعالى قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى وقال تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها قال سفين بن عيينة وقتادة
وغيرهما قد افلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال وقال ابو الفرج معنى زكاها طهرها من الذنوب
واصلحها بالطاعة وقيل افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس دساها الله وهذا
قول الفرا والزجاج وكذلك ذكره الوالبي عن ابن عباس وهو منقطع لا يثبت وليس هذا مراد الآية بل المراد
بها هو الاول قطعا لفظا ومعنى اما اللفظ فقوله من زكاها اسم موصول فلا بد فيه من عايد على من
فاذا قيل قد افلح الشخص الذي زكاها كان ضمير الفاعل في زكاها يعود على من وهذا وجه الكلام
الذي لا ريب في صحته كما قال قد افلح من اتقى الله وقد افلح من اطاع ربه وقد افلح من خاف مقام ربه
واما اذا كان المعنى قد افلح من زكاه الله لم يبق في الجملة ضمير يعود على من فان الضمير على هذا يعود
على الله على هذا القول وليس هو من وضمير المفعول يعود على النفس المتقدمة فلا يعود على من لا ضمير الفاعل
ولا ضمير المفعول فتخلو الصلة من عايد وهذا لا يجوز نعم لو قيل قد افلح من زكاها الله نفسه
او من زكاها الله له ونحو ذلك صح الكلام وخفاء مثل هذا على من قال بهذا من النحاة عجيب وهو لم يقل
قد افلحت نفس زكاها فانه هنا كانت تكون زكاها صفة لنفس لا صلة بل قال قد افلح من زكاها فالجملة
صفة لمن لا صفة لها [illegible] التي زكاها فانه لو قيل ذلك لجعل في زكاها ضمير
يعود على اسم الله صح وانما قال قد افلح من زكاها فاذا تكلف اهل هذا القول وقالوا المعنى قد افلح
من زكاها اي النفس التي زكاها وقالوا في زكى ضمير المفعول يعود على من وقالوا من تصلح للمذكر والمؤنث
والواحد والعدد فالضمير عايد على معناها المؤنث وتانيثها غير حقيقي ولهذا قيل قد افلح ولم يقل قد افلحت
قيل لهم هذا مع انه خروج عن اللغة الفصيحة فانما يصح اذا دل الكلام على ذلك في مثل قوله ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا فان قوله منكن دل على ان المراد النساء فقيل تعمل وكذلك قوله ومنهم من يستمعون اليك
ونحو ذلك واما هنا فليس في لفظ من وما بعدها ما يدل على ان المراد بها النفس المؤنثة فانه لم يقل قد افلحت
ولا قال قد افلح النفوس من زكاها وقد تقدمها قوله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ثم قال قد افلح

الصورة الاولى المخطوطة

وثقل قال جمهور المفسرين انه العدل وقيل ما يوزن به وهو اعم مما يوزن به الاجسام الثقيلة
والخفيفة وقد قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا تارك فيكم الثقلين
احدهما اعظم من الآخر كتاب الله وعترتي اهل بيتي فسمي القرآن ثقلا وقال تعالى واخرجت
الارض اثقالها وقال اعطه ثقله اي وزنه والثقلان الجن والانس ومثقال الشيء ميزانه
من مثله والمقصود هنا ان المسلم الذي وزنت حسناته وسيئاته اما جميعا في ميزان كما
في حديث البطاقة واما بان عرف قدر حسناته وقدر سيئاته فعدل احدهما بالآخر فوجدت سيئاته
راجحة فهذا يستحق العذاب لسيئاته الراجحة فيعذب بها في النار بقدر ما يستحقه ثم يخرج
بتلك الحسنات المرجوحة ولو لم يكن فيها الا مثقال ذرة فبذلك المثقال يخرج من النار ولا يخلد فيها
وليس هو كالذي ليس له حسنات كالذين حبطت اعمالهم كلها فلا يقام لهم يوم القيمة وزنا
وبهذا يحصل الجواب عن رجحان السيئات والخروج من النار فان هذا اشكل على طائفه
اعتقدوا انه اذا رجحت السيئات لم يبق للحسنات اثر اصلا بل يبقى وجودها
كعدمها وحينئذ فيلزم اذا دخل النار لم يبق معه شيء من الايمان
يخرج به فلهذا قال بعضهم الايمان ليس مما يوزن
بالسيئات وقد تقدم انه يوازن والله اعلم
آخره والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما

الورقة الأخيرة من المخطوطة